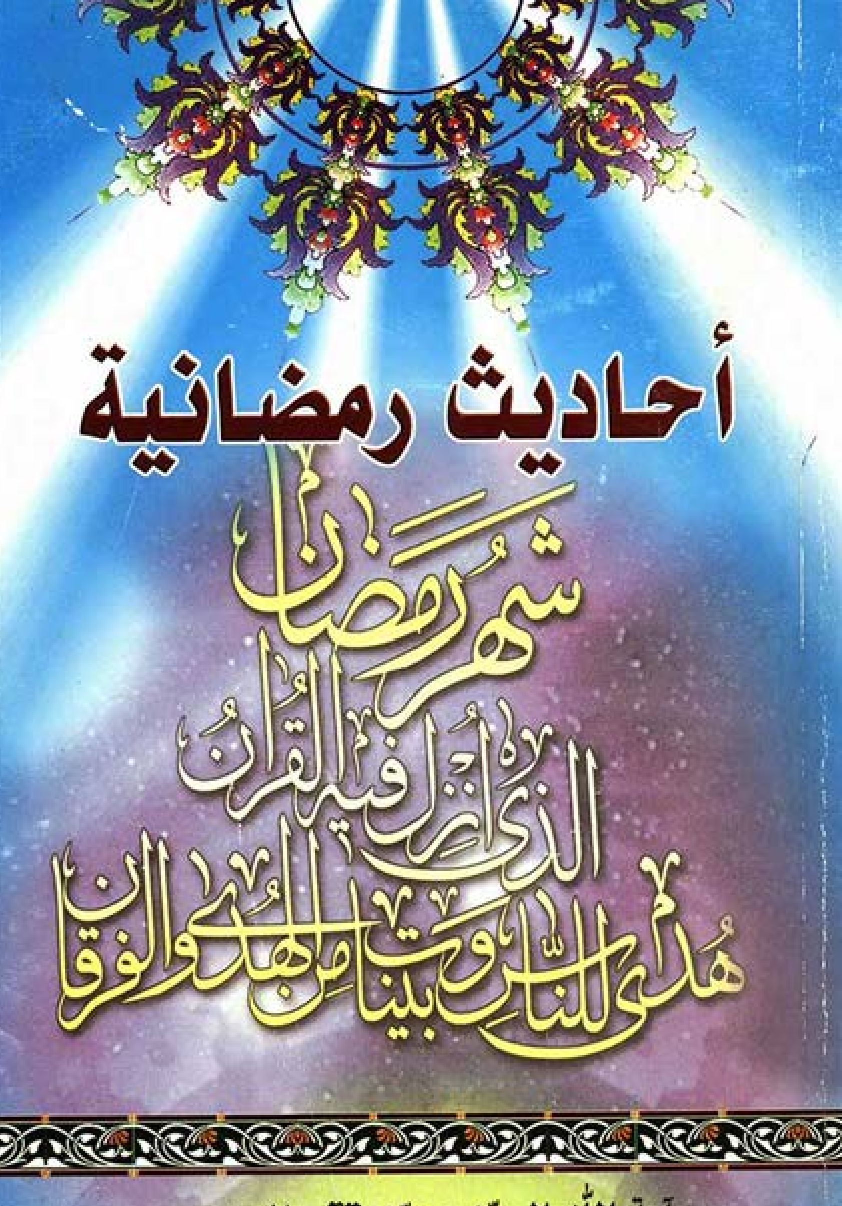
أحاديث رمضانية



آية الله السيّد محمّد تقي المدرسي

آية الله السيد محمد تقي المدرسي

أحاديث رمضانية

مدرسي، محمدتقي ١٩٤٥ -
احاديث رمضانية / محمدتقي المدرسي - طهران: دار محبي الحسين، ١٣٨١.
٩٦ صفحه ISBN 964 - 7373 - 23 - 6
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي
كتابنامه به صورت زير نويس.
١. رمضان -- جنبه‌هاى قرآنى. ٢. رمضان -- احاديث. الف. عنوان.
٤م٨ر/ BP١٠٤ ٢٩٧ / ١٥٩
١٣٨١ كتابخانه ملى ايران ٣٢٦٩٨٦ - ٨٠ م

احاديث رمضانية

آية الله السيّد محمّدتقي المدرسي

الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام
الطبعة الاولى - ١٤٢٣ - هـ ق / ٢٠٠٢ م - ٢٠٠٠ نسخه
السعر: ٣٥٠٠ ريال
مركز التوزيع: طهران - شارع ناصرخسرو - فرع حاج نايب - تلفن ٣٩٠٧١٨١
شابك: ٦ - ٢٣ - ٧٣٧٣ - ٩٦٤ ISBN 964 - 7373 - 23 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة الميامين.

وبعد..

على امتداد أيام السنة تبقى عيون المؤمنين ترنو هلال شهر رمضان المبارك، وذلك لما يتميز به من فضل وكرامة وبركة، أوليس شهر رمضان أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات؟؟

لذا صار هذا الشهر موسم الإيمان، ومائدة التقوى، وساحة العرفان..

من هنا ما أن يعبق شذى شهر رمضان بأريجه الفواح إلا ويستعد المؤمنون للإستزادة منه إيماناً وتقوى، وهداية وصلاحاً، ومسارعةً الى الخيرات والمبرات.

بلى؛ إن فضل شهر رمضان لا يمكن أن يُحدّ بحدود، ولا يُؤطّر بنوافذ، فهو آفاق مفتوحة للطالبين، ومناهل مترعة لمن أراد المزيد..

وعلى هذا لا ينبغي أن يقف أحدنا عند حد معين من نعم هذا الشهر، وإنما يجدر بنا أن نضاعف اهتمامنا بأعماله، وأن نزيد من تفاعلنا معه في تربية أنفسنا وخدمة المجتمع.. كل ذلك لكي نحصل على أكثر نصيباً من الخيرات، وأرفع منزلة في الصالحات، وأقرب درجةً الى رضوان الرب الجليل.

وما هذا الكتاب إلا خطوة على طريق الاستزادة من فضل شهر رمضان المبارك، وهو في الأصل عبارة عن مجموعة أحاديث ألقاها سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي في شعبان ١٤٢٢ لتلفزيون الانتفاضة الإسلامية في العراق، ورجاء لتعميم فائدتها باشرنا بتحريرها وإخراجها في كتاب سميناه (أحاديث رمضانية)، راجين الله العلي القدير أن ينفع به القراء الكرام، وأن يدّخر لنا بواسطته أجراً وثواباً ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله ولي التوفيق.

القسم الثقافي

في مكتب آية الله السيد محمد تقي المدرسي

١٠/رمضان/ ١٤٢٢

الفصل الأول

في ضيافة اللّه

الصوم عبر التاريخ

كان الإنسان عبر التاريخ بحاجة ماسة إلى أن يمرّن نفسه ويربيها لمواجهة الصعاب والمشاكل. ففي أنظمة الحكم المتفاوتة وعبر القرون المديدة، كان الناس يهتمون بتربية رجال أفذاذ، مهمتهم مواجهة الأعداء في المعارك، فكانوا يدربون الفرد جسدياً وينمونه معنوياً، وذلك عبر منعه وإبعاده عن اللذات العاجلة، وفرض الصيام عليه لفترات معيّنة، ليحرز أكبر قدر ممكن من الصبر على العطش والجوع والسهر والابتعاد عن الماء والحمّام وما أشبه ذلك، نظراً لما تتطلبه الحروب أو بعض المصاعب من قدرة خاصة على التحمل، ولما تمتاز به ظروف الحروب من نقص في اللذات المتوفرة في حالة السلم.

وكذلك الأمر بالنسبة لتأريخ الأديان التي كانت تفرض على أتباعها صوراً وأشكالاً من التدريبات الجسدية والروحية؛ فمثلاً كان بنو إسرائيل يؤهلون من يريد التفرغ للعبادة والتبتل والرهبنة عن طريق الصيام مدة طويلة عن الطعام والشراب والكلام أيضاً، ليكون ذا مناعة عن الرجوع.

كما كانت أقوام وديانات أخرى تفرض على نفسها أنواعاً أخرى من الصيام، كالصوم عن اللحم وما يرتبط بالحيوانات، أو الصوم عن النوم، فيسهرون ويسهرون حتى يتأكدوا من هزيمة النوم..

وكان هناك صوم الوصال؛ أي الصوم المتواصل حتى تحقيق أو تحقق الهدف المقصود منه، كأن تمطر السماء، أو يرجع الغائب..

لكن الإسلام جاء برسالة تنظيم لتلك الأنواع من الصيام، والاتجاه بالصيام نحو هدف سامٍ ومقدس، وهو إحراز التقوى والتقرب إلى الله تعالى؛ لأن الإسلام هو خاتم الأديان والرسالات، فكان طبيعياً وضرورياً أن يأتي التشريع الأكمل والأنفع للإنسان.

فكان الصوم في بدء الشريعة الإسلامية ممتداً إلى الليل، مصحوباً ببعض التحريمات، لكن الإسلام أحلّ فيما بعد ما حرّم في الليل، وجعل مدة الصوم إلى الليل فقط.

إذن؛ فإن الصوم لم يكن بالأمر الغريب على أذهان الناس عبر التأريخ، حيث يأخذ بين الحين والآخر صورة من الصور، وما كان دور الإسلام سوى تنظيمه وإضفاء الحالة الهدفية التي يريدها الله عليه، فأصبح التشريع الأيسر والأفضل، حتى اعتُبر من يترك هذه الفريضة مع يسرها وسهولتها التي تمتاز به، اعتبر من الأشقياء بحق، لأنه لا يجد لنفسه عذراً سوى ضعف الإرادة وهجر الخير واستحباب الدنيا بتوافهها على الآخرة بعظمتها وجلالها..

من أجل التقوى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٨٣)

نصوم بين طلوع الفجر وغروب الشمس، فنكفّ منافذَ أجسامنا عما أوجب الله سبحانه وتعالى علينا الاجتناب عنه من الطعام والشراب والشهوة وما أشبه، هذه حدود الصيام الظاهرية..

ولكن؛ هل أن كل صائمٍ تصدق عليه هذه التسمية؟ وهل أن الصائمين كلهم في مستوى واحد؟ وهل أنك ترضى لنفسك أن تكون في المستوى الأدون؟! لا أتصوّر أنك كذلك، ولا أنا، ولا كل صائم، فالجميع يبحثون في حياتهم عن الأفضل والأرقى، سواء في أمور الدنيا أو الآخرة..

غير أنه يبقى من الصائمين من لا حظّ له من صيامه سوى الجوع والعطش، وليس الصوم بالنسبة له إلاّ ساعات من الإمساك عن الأكل والشرب.. في حين أن من الصائمين ثلّة تتقرب بصيامها إلى الله حتى تعتق رقابها من النار ويُغفر لها وتوجب لها الجنة، وبين هذا وذاك درجات من الصائمين..

إن أول درجة من درجات الصيام هي أن تصوم وتصوم معك كل جوارحك وأفعالها. فلا تصوم عينك عن الحرام فقط، بل حتى عن

الشبهات، ويصوم لسانك فيكفّ عن الكذب والتهمة والافتراء والغيبة وغيرها.. وعن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسابُّ جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام فقال لها: كُلي! فقالت: أنا صائمة يا رسول الله! فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟ (١)

في مناهي النبي صلى الله عليه وآله أنه نهى عن الغيبة والاستماع اليها، وقال صلى الله عليه وآله: من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوؤه.. (٢)

فالصوم هو ليس الصيام الظاهري فحسب، وإنما هو كما قدّمنا امتناع عام عن كل المحرمات الظاهرية والباطنية.

إن من الناس من تسوء أخلاقه أثناء الصيام، في حين إن الصوم يدعونا إلى البشاشة والطلاقة والتطور الروحي، لما فيه انعتاق عن المادة..

وهناك درجة أسمى من الصوم العادي، وهو أن يصوم المرء بقلبه، حيث يكون معراجاً للحب، ومهبطاً للملائكة، ومنزلاً للرحمة الإلهية بدلاً من أن يكون مهوىً للشياطين، ومركزاً للوساوس والأحقاد والعصبيات والحميات الجاهلية الباطلة.

بلى، إن الصوم قد يكون مستحباً، وقد يكون واجباً، ولكن صيام شهر رمضان واجب على كل إنسان مكلّف، وإن أفضل الصيام هو صوم المنافذ

(١) بحار الأنوار، ج٩٣، ص٢٩٣، ح١٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٤٧، ح١٠.

والجوارح والقلب، وأن تكون النية في ذلك كله منعقدة على العزم على أن يكون الصوم معراجاً إلى بلوغ مرحلة التقوى والورع ، لأن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الفريضة الشريفة هذه إلا لنكون من المتقين كما صرحت به الآية الكريمة بصورة مباشرة.

لقاءٌ بين التوبة والرحمة..

﴿وإِذَا جَـآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِـهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الانعام/٥٤)

إن من نعم الله على الإنسان أنه يمنحه فرص العودة إليه، هذه الفرص تعتبر بمثابة نفحات رحمانية يتوجب عليه كمخلوق أن يتعرض لها. ومما لا شك فيه أن شهر رمضان من أرقى فرص التوبة، وذلك لأسباب عديدة، منها:

إن الله سبحانه وتعالى قد كتب على نفسه بأن يتوب في هذا الشهر الكريم على عباده المسرفين الظالمين لأنفسهم..

ومنها؛ إن لهذا الشهر ميزةٌ على غيره من الشهور، حيث يجد المرء نفسه فيه في ظروف مناسبة تؤهله لخوض تحول معنوي عظيم، فتراه يعكف على قراءة القرآن والأدعية وحضور مجالس الخير في ضمن الجوّ الإيماني السائد في مجتمع الصائمين.

ومنها؛ إن في أحايين معينة يتنور قلب الإنسان بنور الله العلي العظيم، حتى كأنه ثمة ومضة من النور الإلهي تنفذ الى أعماقه، فيتفتح القلب ولو للحظات. هذه فرصة -لا تُثمّن- قد أمر ربنا سبحانه وتعالى رسوله المصطفى صلى الله

عليه وآله وسلم أن يبلغها للإنسان على الأرض عموماً، وإلى المؤمنين على وجه الخصوص، وهي أنه قد كتب على نفسه الرحمة، وهو دونما أي تأثير خارجي -والعياذ بالله جل جلاله- أراد الرحمة، فكان من أعظم أسمائه الحسنى اسما " الرحمن، الرحيم" وكانت رحمته واسعة، رحمة سبقت كل الغضب، وكل ذنوب العباد.

فتمثلت هذه الرحمة الإلهية بأنه من عمل سوءاً من المؤمنين ثم تاب توبةً ملؤها الندم والعزم على الخير والصلاح، والإحساس بالحاجة إلى التطهر والنقاء، والعودة إلى الرب الغفور الرحيم، وإلى تلك الحالة المعنوية والفطرة السليمة، وإرادة عدم الاحتجاب عن المناجاة المباشرة مع الله تعالى... تاب الله عليه.

فالإنسان إذا ظلم الناس فقد أفسد حياته وضميره بادئ بدء؛ وإن من لا يحترم الآخرين لا يحترم نفسه، لأنه واحد منهم، ولا يمكن أن يتصور انفصاله عمن حوله بحالٍ من الأحوال.. وهو إذا ما أراد أن يصلح، فعليه أن يصلح ما بينه وبينهم، وذلك كأن يلفع بالظلامة عنهم، ويطلب البراءة منهم، وأن يحطم الحواجز النفسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التي تفصل بينه وبينهم.

إذن؛ فالتوبة لا تتحقق لها مصداقية تُذكر ما لم تتبعها خطوات إصلاحية، تستحق بموجبها الرحمة التي كتبها الله على نفسه، فيأخذ بيده الى ممارسة المزيد من أعمال الخير والصلاح، وإذ ذاك يتم التوافق والانسجام بين عمل الإنسان وسيرته، وبين ما يريده الله سبحانه وتعالى من الإنسان وما يحبذه له.

لقاء الرحمة والعبادة

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٣-١٨٤)

لماذا كتبت علينا فريضة الصيام في شهر رمضان؟ فإن كانت حكمة الصيام هي تحصيل التقوى وتزكية النفس وتعبئة الحالة الروحية في الإنسان، فهذا يقتضي أن يكون الصيام في أي يوم، وفي أي شهر، وفي أي فصل من فصول السنة، فلماذا سُنّ الصيام في شهر رمضان المبارك بالذات؟

وللإجابة على ذلك، أقول: إن الصوم بذاته واجب على الإنسان أن يؤديه في السنة شهراً، ثم تحدد هذا الشهر برمضان، فإن لم يستطع المسلم أن يصومه فعليه أن يقضيه في أيام أُخر؛ أي أن يصوم شهر كاملاً بدلاً عن الصيام في شهر رمضان، هذا أولاً..

وثانياً: إن شهر رمضان قد إختصه الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة، فهو الفعّال لما يريد، وهو الذي يسأل ولا يُسأل عما يفعل. خصّ الله شهر

رمضان برحمته، وجعل فيه ليلة القدر، وأنزل في هذه الليلة المقدسة القرآن الكريم، كما جعل في هذا الشهر المناسبات الجميلة واللطيفة، كما خصّه باستجابة الدعاء ومضاعفة الخير ، حتى أن الإنسان ليقرأ الآية الواحدة من الذكر الحكيم فيضاعف الله له الثواب، فيكون كأنما قد قرأ القرآن الكريم كلّه... وقد قال الله تعالى كما جاء في الحديث القدسي: " الصوم لي وأنا أجزي به" (١) بمعنى أن الله هو الوحيد القادر على إحصاء ثواب الصيام المكتوب للصائم، دون الملائكة واللوح والقلم والعادّين عموماً. ومن هنا جعل الصوم باعتباره عملاً شريفاً عظيماً وجُنةً من النار، كما جعل هذا الصوم أيضاً في هذا الشهر باعتبار عظمة هذا الشهر.

ولّما كان شهر رمضان شهر الرحمة والجذب إلى الله سبحانه وتعالى وهو مصدر الرحمة، تجد الناس مطمئنّي النفس والوجدان، فيمرّ عليهم هذا الشهر مروراً سريعاً يفاجئون بانتهائه. ولهذا ولغيره من الأسباب الاضطرارية فقد خفّف الله عن عباده الصيام في شهر رمضان وأرجأه الى أيام أُخر، و لم يأمر المسافر -مثلاً- بأداء فريضة الصيام، بل حتى قال بعض الفقهاء بعدم جواز الصيام فيه، فضلاً عن عدم وجوبه، لأن الرخصة في هذا الإطار بمثابة الهدية الإلهية، ولا يصح ردّ هدية الله. كذلك الأمر بالنسبة الى حالة المرض التي لا تتطلب أن يجهد المرء نفسه بتجاوزها، فالله رؤوف بعباده، ولا يريد لهم التعب.

وعلى هذا الأساس حدّد الله تبارك وتعالى شهر رمضان شهراً للصيام، ليتقرب الإنسان الى بارئه أكثر من أي وقت آخر، فيستفيد من هذه الفريضة الإلهية أكثر الاستفادة، حتى يصل بها إلى التقوى والرضوان.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص٤٦٥، ح١٠٦١٠.

التقوى.. العطاء.. الإيثار..

﴿يَـآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر/١٨-١٩)

خلال شهر رمضان المبارك نتزود بالتقوى، وهي الفضيلة التي تنفعنا في مواطن كثيرة؛ من أبرزها أن الإنسان المتقي يكون جواداً كريم النفس معطاءً محسناً للآخرين متفضلاً عليهم. فهو يبحث -بدافع التقوى- أن تكون يده هي العليا في أية علاقة تربطه والآخرين، ويريد أن يكون الأمثل والأفضل.

ولكن البعض من الناس يريد الخير كله للآخرين، بمعنى أنه يريد لجاره أن يكون فاضلاً، وصديقه تقياً، وتلميذه صالحاً.. غافلا عن أن يبحث أو يريد هذه الصفات الحسنى وغيرها لنفسه قبل غيره. فلماذا لا أكون (أنا) أول ملتزم بهذه الصفات؟

إن العطاء من أفضل الفضائل، لأن من يعط يقه الله شح نفسه، نظراً لأن الإنسان بصورة عامة يعيش في زنزانة ذاته، ويبحث عن مصالحه الشخصية، ويفكر في أنانيته وفيما ينتفع به في لذاته وشهواته. أما إذا تمكن من التحرر

من زنزانة ذاته، ودائرة أنانيته المظلمة وأعطى للآخرين، وكان كريماً وجواداً، فإنه - في واقع الأمر- يكون قد قفز قفزة واسعة للغاية في مسيرة تطوره وتكامله وسموه، إذ انه استطاع الوصول إلى حقيقة الإنسانية وجوهر الآدمية، لأنه يعيش الحق والإحسان والإنصاف، ولا يعيش الذات والهوى.

ومن هنا، فقد قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة الحشر المباركة؛ وهي السورة نفسها التي ضرب الله المثل فيها بالأنصار الذين آثروا المهاجرين في التاريخ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. قال جل اسمه: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ووسيلة التقوى: العقيدة والسلوك، وهي: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي إنه من الخطأ أن يجعل المؤمنون كل طاقاتهم وإمكاناتهم وثرواتهم حكراً على هذه الدنيا، بل لابد أن يكون قسم منها للآخرة؛ الآخرة التي هي جزءٌ من حياة الإنسان أيضا، فلماذا هذا الولع بساعة أو ساعتين، ويوم ويومين، ومجرد سنة أو سنتين من عمره؟ ولماذا هذه الغفلة الرهيبة عن اللحظات الحاسمة في الحياة، أو ما يمكن تسميته بالعاقبة؟!

وعليه؛ فمن الجدير بنا أن نتعلم ونستفيد من التقوى هذه الصفة، صفة الجود والكرم، وأن يبحث الواحد منا لدى تعامله مع الآخرين عما يتمكّن من منحه لهم، لا عما يأخذه منهم، وأن يكون ممن يوق شح نفسه ويترفع عن الأنانية والبخل والجمود..

بين الإرادة والتوكل

﴿وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (ابراهيم/١٢)

الإيمان بالله سبحانه وتعالى يبدأ كما السيل المتدفق، ولكنه سرعان ما يتشعب إلى شعب وقنوات، تنتهي كل منها إلى فضيلة من الفضائل؛ ولعل من أبرز هذه الفضائل، التوكل على الله جل وعلا.

ونحن إذ نعيش أيام شهر رمضان المبارك نرجو أن تكون نفوسنا قد تحولت إلى نفوس عامرة بالتقوى واليقين والإيمان. في مثل هذه الأيام الكريمة ينبغي لنا أن نسعى إلى تقنين إيماننا وتحويله أو صبه في قنوات تنتهي كلها إلى حقيقة المثل العليا والفضائل الإنسانية والخلق الإلهي، ومنها التوكل عليه تبارك وتعالى.

ولتوضيح آفاق التوكل أقول: ان إرادة الإنسان غالباً ما يعتريها الخلل لأسباب عديدة، منها: وساوس الشيطان أو ضعف النفس وظلمها، أو بسبب تراكمات الماضي وإحباطاته، أو بداعي اليأس، أو أسباب أخرى كثيرة.. ويمكن تشبيه دور الإدارة لدى الإنسان كما المحرك في السيارة ودافعها إلى الأمام. فإذا ضعفت الإرادة ضعف كل شيء وكل قوة في الإنسان، كالحركة

والعلم والفكر. والعكس صحيح أيضا إذ تشتد قوة كل شيء في الإنسان إذا قويت واشتدت إرادته، وقد روي عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه أنه قال: (ما ضعف بدن عما قويت عليه النية)؛ (١) أي حينما تكون النية قوية، الحركة أيضاً ستكون شديدة ونشيطة. وهذا بالذات ما يدعى في علم الاجتماع بالروح، أو روح الفرد وروح الشعب وروح الأمة.

إذن؛ فالإرادة تمتاز بحيز كبير للغاية من حقيقة ووجود الإنسان، سواء كانت هذه الإرادة قوية أم ضعيفة.

وقد جاء في المأثور عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من الدعاء الكثير من النصوص بهذا الشأن، منها ما ورد في دعاء مكارم الأخلاق عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (اللهم وفر بلطفك نيتي). (٢) والتوفير هو التكريس والحشد، لأن هذا الحشد المرجو هو أساس الحركة.

أما عامل تقوية الإرادة وترسيخ العزم فيكمن في التوكل على الله، وقد قال الله تعالى: ﴿عَــزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فحينما يتوكل الإنسان على ربه يشعر وكأن الثريا في متناول له والأرض في قبضته، لأن الله هو الوحيد القادر المهيمن. وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام لدى مواجهتهم لجموع الكفر يزدادون توكلا على ربهم، لأنه هو الذي هداهم إلى سبله، وهو نفسه الذي يعينهم على بلوغ النجاح. وهذا التوكل بذاته من طبيعته أن يقلل من حجم الشعور بالأذى، حيث يزيد من صبر المؤمنين على ما يلاقونه من عقبات وابتلاءات ومصائب.

---

(١) ميزان الحكمة، ج١٠، ص٢٧٠، ح٢٠٦٤٩.

(٢) مفاتيح الجنان، القمي، ص٥٩٩.

أداء الأمانة والنقد الذاتي

﴿إِنَّ الـــلَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء/٥٨)

أروع ما يكون عليه الإنسان أن يرتفع بمستواه، فيحترم الآخرين ويحترم حقوقهم لديه، فيدعى إذ ذاك أميناً يعيش خارج ذاته في محيط الحق وأفق الصدق ومستوى العدالة..

وقد تكون الأمانة شيئاً بسيطاً، فيتحمل المرء أمانة قلم أو خاتم أو أي شيء حقير الثمن، وقد يتحمل أمانة بيت وأسرة ووصايةً على يتيم صغير. فالأمانة لا فرق بين كبيرها وصغيرها، لأنها تجعله في ميزان يحدد له موقعه بين الحق والعدل وهموم الآخرين والقدرة على تحمل المسؤولية من جانب، وبين حبس الذات في دائرة الشهوات والأنانيات.

ولّما كان المؤمن قد صدّق واعترف بحق الله عليه، فإنه قد إنعتق من عبودية الذات وانطلق إلى أفق العدالة، لأن حق الله عليه هو الإيمان به وبكلماته وحقوق العباد تجاهه. فالإيمان بالله ليس مجرد كلمة أو علاقة

ضبابية بين المرء وخالقه، إنما هي علاقة بينه وبين الحق؛ أي الحق الذي يجب أن يُحترم ويُعترف به ويؤدى بالقدر الممكن.

لذلك؛ فإن ربنا سبحانه وتعالى قد أمر عباده بأداء الأمانات إلى أهلها ضمن سياق قرآني مطلق شامل، لإضفاء المفهوم الأوسع على طبيعة الحركة الإيمانية في هذا المجال، فضلاً عن الناحية القانونية له.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ تعني ضرورة تحمل كل إنسان أمانته، حتى أن حق الوالدين والأولاد والزوجة وذوي الأرحام والأصدقاء كلها أمانات عليه أداؤها، هذا أولاً.

وثانياً: إن الإنسان يجب أن يسعى باتجاه أداء الأمانة إلى أهلها وعدم خيانتهم بتسليمها إلى غيرهم، وليعلم انه ليس من المستحسن أن يتغافل عن مسؤولية أداء الأمانة ثم تراه يعكف على تدوين قائمة عريضة يضمنها وصاياه التي لا تنتهي، الغرض منها تلافي الخيانة التي ارتكبها طيلة سني عمره، فيثقل كاهل أولاده بعد وفاته، لأنه ليس من المعلوم أو المضمون حرص وإلتزام الموصى لهم بمثل هذه الوصية الطويلة والمكلفة.

فلينظر كل إنسان في شهر رمضان؛ شهر الرحمة والمغفرة وشهر النقد الذاتي والمحاسبة الذاتية، فلينظر إلى نفسه لإعادة حساباته عبر ساعات التفكير والتدبر في آيات القرآن الكريم وتلاوة الأدعية المباركة وساعات الصلاة، وصياغتها صياغة تنتهي إلى حالة مراجعة ذاتية إيجابية. فلا تبقي حقا -صغيراً أو كبيراً- منغلقا في ذمتك، سواء كان هذا الحق حقاً ذاتياً أو حقاً لله أو حقاً للآخرين، مالياً أو معنوياً.

عن الصدق والصادقين

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ (الاحزاب/٢٣)

إن الصدق هو علامة وفضيلة المؤمن البارزة، إذ تراه يصدق مع نفسه، ويصدق مع ربه، ويصدق مع الناس.. والصدق بالنسبة إليه جزءٌ لا يتجزأ من صميم وجوده وكيانه، فلا يعيش الازدواجية والنفاق والثنائية؛ فما يقوله هو ما يؤمن به، وما يفعله هو ما يؤمن به، وما يؤمن به يقوله ويفعله. وليست هناك أيّة مسافة بينه وبين الواقع الخارجي. فما يقوله للآخرين هو نفسه الذي يقوله لربه، وما يفعله هو الذي يرتاح إليه ضميره في الدنيا، ولن يخجل منه لدى لقائه ربّه في يوم القيامة. فتراه يعيش في داخله حالةً رائعة من الاستواء والاستقرار والتوازن والاطمئنان.

وفي شهر رمضان المبارك تسنح الفرصة بشكل واسع إلى السمو بالنفس إلى هذا المستوى الرائع للمشار إليه، وهو تضييق المسافة وردم الهوة بين الأعمال والأقوال.

ثم إن الإنسان ملزم بأن يتعرف على موقع قدمه وأين ينبغي له أن يضعه، فإذا أراد التعهد لنفسه أو لربه أو للآخرين، عليه وقبل كل شيء أن يحدّد قابلياته وإمكانياته، لئلاّ ينتهي به الأمر إلى أن يكون من الكاذبين.

فالعهد والعقد والوعد ليس إلاّ كلمة تخرج من فم الإنسان، فيكون لها أسيراً ، لأنها بمثابة الوجه الآخر لشخصيته وذمّته ومستوى احترامه. ولمّا كان الإنسان المؤمن بطبيعته كائناً كريماً محترماً، فلا يسعه -والحال هذه- إلاّ أن يضفي على نفسه المزيد من الاحترام، وأن يكنّ لربه وللناس الاحترام، فيكون صادقاً معهم في كل مكان وزمان؛ على النقيض من حالة النفاق والازدواجية التي تجبر المصاب بها على نقض العهد والوعد وعدم احترام الآخرين ونفسه، فتراه قد يعد أولاده -مثلاً- مرة ومرتين وثلاث مرات ولكنه لا يفي بما يعدهم حتى يفقد أولاده الثقة به، وبالتالي يكون بسيرته هذه قد اقتلع لبنة مهمة للغاية في بناء الأسرة، وجرها نحو الدمار. وقد يتعهد أمام نفسه بالتوبة الى ربه، ولكنه سرعان ما يفرّ على وجهه، نتيجة عدم احترامه لنفسه.

وفي آية مباركة يعاتب الله سبحانه بعض المؤمنين الذين لمّا يطهّروا ما قد يصيب أنفسهم بعد، أو كأنه يرسم للمؤمنين خط الإيمان القويم، فيقول: ﴿يَـآ أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾. (الصف/٢-٣) بمعنى أن الذي يقول كلاماً ويتعهد بعهد ثم لا يقف عند كلامه وعهده، ممقوت ومذموم وغير محترم. و الذي لا يحترم نفسه، عليه أن يستعد لعدم احترام ربه والآخرين له.

إذن؛ فضيلة الصدق صفة أساسية في الإنسان المؤمن، وهي تشمل جميع أبعاد حياته تقريباً، وهو إذا ما عاش هذه الحالة الإيجابية عاش راحة نفسية.

في حين إن المدمن على الكذب من شأنه الخوف من ذياع حقيقته ونفاقه الخفيين، فلا يجد لنفسه راحة أو استقرار.

إن شهر رمضان الكريم عبارة عن دعوة إلى مراجعة الذات، والاستفادة من القدرة التي وهبها الله تبارك وتعالى إلى الإنسان، والمتمثلة في صناعة الحياة وصياغة النفس باستمرار، لأنه الكائن الوحيد بين المخلوقات القادر على إعادة ما تدمّر لديه. فالكاذب بإمكانه أن يكون صادقاً، والصادق أيضاً بوسعه أن يتحول إلى كاذب.. وشهر رمضان وما يمتاز به من أجواء وعوامل روحية وأخلاقية، فرصة ثمينة سانحة أمام المؤمنين، لكي يضاعفوا من تخلقهم بأخلاق الله، وإنّ من أخلاق الله كلمة الصدق والوفاء.

موعد مع الصبر

﴿يَـآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُـوا اسْتَعِينُـوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الصَّابِرِيـنَ﴾ (البقرة/١٥٣)

لقد تجمّعت في كتاب الله المجيد كل ركائز التربية ووسائلها وبواعثها، ولعل من أبرزها وأعلى درجاتها هو الصوم، إذ هو كفٌّ للنفس عن الأمور التي يحل التعامل معها في غير حالة الصيام. فإنها تربّي الإنسان وتدرّبه وتنمّيه على قوة الإرادة والعزم ، وتجعله قادراً على اجتناب ما أحلّه الله له في الحالات العادية.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد أمر في كتابه بالصيام على نمطين، النمط العام هو الصيام في شهر رمضان المبارك، وكتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا من الأمم الأخرى. والنمط الثاني هو الذي يخص بعض الأولياء، فهو بالإضافة إلى ترك الطعام والشراب، كذلك يجب ترك الكلام فيه، كما هو معروف في قصة النبي زكريا عليه السلام، حيث أمره الله تعالى بالخروج على قومه من المحراب وألاّ يكلمهم، كعلامة على ولادة ابنه يحيى. وكذلك في قصة مريم عليها السلام التي نذرت للرحمن صوماً فلم تكلم الناس، وأمرتهم بتوجيه خطابهم إلى طفلها الرضيع عيسى عليه السلام لإثبات نبوته وهو في المهد..

والصوم -أيضاً- قد أمر به أولاً في الحالات العادية في كل عام شهراً واحداً، وأمر به مرة أخرى حينما يحتاج الإنسان إليه، حيث قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وقد فسّرت كلمة (الصبر) من هذه الآية المباركة على أنها الصيام، نظراً لأن الإنسان حينما يكون صائماً يكون أصبر عن الطعام والشراب والشهوة الجنسية وعمّا أمر الله بتركه.

أما كيف تكون الاستعانة بالصوم؟

أولاً: أن الصائم يصبر عن هذه الشهوات الجسدية العاجلة، فتنمو إرادته وتتضاعف عزيمته قوةً.

ثانياً: إن الإنسان بصيامه يتقرب إلى الله تعالى، ومن أولى بنصرة الإنسان من الله؟

ثالثاً: إن الصائم يقترب من المعنويات، وكلما أراد الإنسان عُروجاً الى عالم المعنويات، كان أقدر على الهيمنة على الماديات. فمن يصاب بمصيبة ، أو تلحق به خسارة اقتصادية، أو لم يجد للزواج سبيلاً، فعليه الاستعانة بالصيام، بدلاً من الانهيار أمام المشاكل؛ فإنه إذا صام ازداد معنوية وعزماً واقتراباً من مصدر القوة والربح والعناية والتوفيق، وهو الله جل وعز.

شهر الصبر

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس/١٠٩)

ماذا يعني الصبر؟ ولماذا كان الصابرون يؤتون أجورهم عند ربهم بغير حساب؟ ولماذا سمي الصائم صابرا، حيث فسرت الآية المباركة عن قوله الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي استعينوا بالصيام والصلاة؟

بادئ بدء نؤكد إن الصبر عبارة عن حذف الزمن القادم، والوصول إلى الحدث المتوقع والمنتظر. فمن يصبر وينتظر الفرج، فإنه يحذف الزمن الفاصل بينه وبين الفرج، وبينه وبين النصر والوصول إلى الهدف. فكلما رأى في طريقه المصاعب والمشاكل والابتلاءات، فإنه لا يوليها الأهمية والإنتباه، وينظر إلى الهدف البعيد. كما أن الصائم إذا مضه العطش، ولسعه الجوع، وأخذه الضعف، منّى نفسه بإنقضاء فترة الصوم والإمساك في هذه الساعة أو تلك. أو كذلك الطالب في المدرسة، حيث يقاوم السهر والبرد والتبكير في الصباح والاستمرار في المطالعة والبحث وتقديم الإمتحان تلو الإمتحان، كل هذه يقاومها ويركز نظره في نهاية العام الدراسي، حيث يأخذ وثيقة الإمتحانات بتفوق؛ فبذلك تتلاشى جميع

الصعوبات التي مرت عليه، بل وتحلو لديه. وهذا بالذات هو معنى الصبر والإستقامة.

أما لماذا كان الصوم صبرا؟

فواضح، لأن الصائم يستمر في الصبر من أول الفجر إلى الغروب؛ ليس يصبر على الجوع والعطش والشهوات فحسب، وإنما يصبر أيضا على اقتراف السيئات والمحرمات.

ولما كانت درجة الصبر درجة عظيمة جداً، فقد وعد الله سبحانه وتعالى الصابرين بأن يؤتيهم أجورهم بغير حساب، وذلك بسبب ان الصابرين يمثلون البقية الباقية من جمع المؤمنين، الذين لم يكن إيمانهم إيماناً مؤقتاً. فالصابرون دائمو النظر إلى الهدف البعيد، وهو يوم القيامة ولقاء ربهم، وهم مصداقاً طيباً لقوله تبارك اسمه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ حيث لا ينظرون إلى حياتهم كلها إلا على أنها فترة زمنية قصيرة سريعة الانقضاء، وبالتالي فهم لا يعبدون الله على حرف، أو تهزهم الهزائز بمختلف أشكالها..

إن الصابرين هم الأقلية القليلة التي آلت على نفسها ألاّ تتأثر بالصعوبات، فتتراجع عن الهدف الذي رسمته لنفسها.

ويخطأ من يدعي أن ثمة نهاية للصبر أو حدوداً، بل إن صبر المؤمنين لا ينتهي حتى يصلوا إلى يوم القيامة فيلاقوا ربهم، حيث يوفيهم أجورهم بغير حساب، وهو الأمر المتوقع لصبر كان بلا حدود.

عدالة الاقتصاد

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ (الاسراء/٢٦-٢٧)

من القيم المثلى في الحياة العدالة. والعدالة -كما هو واضح- تتجلى في أبعاد مختلفة من حياة الإنسان؛ ومن أبرز تلك الأبعاد، هو بعد العدل الاقتصادي، المسمى في لغة الفقه باقتصاد المعيشة، أو بتدبير المعيشة.

واذ كنا في شهر رمضان المبارك نراجع أنفسنا ونعيد حساباتنا ضمن مشروع التوبة النصوح إلى الله عز وجل، فلابد أن ننظر أيضا إلى وضعنا الاقتصادي وكيف نعيش؟

ومن الملاحظ إن ابن آدم يعيش في بعض الأحيان إفراطاً أو تفريطاً أو كلاهما معا. بمعنى أنه في بعض الأمور التي لا ينبغي أن يصرف المال والثروة لها تراه يبذر فيها، وفي الأمور الأخرى التي يجب الاهتمام بها تراه يقبض يده ويقتر، وهذا لعمري من أسوأ ما يمكن ان يبتلى به الإنسان.

إن من يرغب في التخطيط لاقتصاده، لابد له أن يحسب حسابات عقلية لا إجتماعية. فمن الخطأ الفظيع أن يحجم الإنسان عن الانفاق على تعليم

أولاده وتربيتهم، بينما تراه في الوقت نفسه لا يبخل على توافه الأمور وكمالياتها، وليس ذلك إلا لجلب الانتباه إليه. ومن الخطأ الفظيع أيضا أن نرى البعض يبخل على صحته وسلامته، في حين أنه يبسط يده كل البسط في نيل شهواته العاجلة..

وعلى هذه القاعدة، ينبغي لمن يريد النجاح الاقتصادي في حياته ان يحرز التوازن في انفاقه وفيما يريد أن يملك، كما عليه أن يضع لنفسه أولويات وفق ما يمليه عليه عقله، ثم يقسم موارده المالية على هذه الأولويات حسب التسلسل، ثم يرى الذي فضل لديه من الثروة فيصرف منه في أمور أو مشاريع الخير.

لقد قال ربنا تبارك وتعالى في هذا الإطار: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾. فكل قريب لك له حق عليك، لأن هذا مصداق لصلة الرحم الواجبة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ أي انه في نفس الوقت الذي تشعر بمقربة المسكين وعوز إبن السبيل فتمد لهم يد المعونة وتتضامن معهم إقتصادياً، تضامناً تحرز بواسطته شيئاً من إنسانيتك، عليك في الوقت نفسه أن لا تغفل عن المستقبل، لأن ثمة إلتزامات أخرى تنتظر منك العمل بها. ولعل صيغة الإطلاق التي استفادت منها الآية الشريفة تشير مؤكدة إلى أن غفلة المستقبل عمل شيطاني، ولا ينتهي عمل الشيطان إلى غير الكفر بالله وبنعمه.

المساواة في شهر العدالة

﴿لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٧٣)

عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته في فضل شهر رمضان: "أيها الناس! .... اتقوا النار ولو بشق تمرة..". (١)

فكيف نتقي الله، وما هي التقوى قبل كل شيء؟ وما هو دور شق التمرة -كعيّنة صغيرة جداً- في مجمل حركة التقوى لدى الإنسان المسلم؟

إن التقوى هي أن تصونَ نفسك عن نار جهنم؛ النار المحيطة بذنوبنا وأخطائنا والفواحش التي نقترفها.

والنبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا بأن نتّقِ الله في شهر رمضان عبر الإنفاق مهما قلّ، حتى ولو بشق تمرة؛ فهذا المقدار يعطينا التقوى ويصوننا ويحفظنا من نيران جهنم اللاهبة..

(١) بحار الأنوار، ج٩٣، ص٣١٧، ح٩.

إن الحكمة من تشريع فريضة الصيام في شهر رمضان لها صور وأشكال عديدة، ولعل من أبرزها إحساس الغني بلسعة جوع الفقير، والبحث عن طريقة مناسبة للتخفيف بنسبة أو بأخرى عن الفقير، وسدّ خلّته.

ونحن في شهر رمضان علينا أن نتحرك بوعي نحو تحقق المساواة الاجتماعية، وسدّ الفجوة الفاصلة بيننا وبين الفقراء ومن هو أضعف حالاً منّا وعلى أي مستوى كان.

لقد لفت نظري وجود بعض العادات الجميلة في بعض الدول الإسلامية، ومنها اجتماع الصائمين الى وجبة الإفطار في المساجد، وأن تكون الأرزاق كلها على مائدة واحدة، حيث يأكل الجميع؛ فقيرهم وغنيهم، وضعيفهم وقويهم، دونما تعفّف عن الغذاء، أو إحساس بالتفاوت، فيكون ذلك خطوة في طريق تحقق المساواة. ولابد للصائمين أن يبحثوا عن طرق أخرى في هذا الإطار كدفع الزكاة والخمس وسائر الحقوق الشرعية وما أشبه.

وعلى الضفة الأُخرى تلزمنا محاولة إعطاء فضل أموالنا للأقرب منا، كأولي الأرحام والأصدقاء.

إن هذه المساواة، وهذا الإنفاق في سبيل الله، وصلة الرحم هذه، من شأنها جميعاً أن ترفع من مستوى الأمة، وأن تضاعف من رزقنا، وأن تزيد بركتنا، وأن تجعلنا في مستوى معقول من العيش الكريم.

فأن يملك المرء المال والثروة، لا يعني بالضرورة إمتلاكه للسعادة، لأن السعادة بصورتها الأجمل والأكمل تكون بإحساس الجميع بها، حينها يتم القضاء على الأنانية والتفرقة والاستعلاء.

الفصل الثاني

عن القرآن والدعاء

ربيع القرآن

لكل شيء موسم وربيع، فما هو موسم القرآن وربيعه؟

إنه شهر رمضان المبارك، شهر فيه ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

فحينما يصوم الصائم في هذا الشهر الكريم، فكأنه يشحذ ذهنه لاستقبال كلمات الله؛ الله الذي إذا اقترب العبد منه شبراً اقترب هو إليه ميلاً.

وغالبا ما تخوض قلوب المؤمنين خلال شهر رمضان في عملية تطهير وتنقية وابتعاد عن شوائب الدنيا والعلاقات المادية، حيث تستقبل النور والهدى، ولذلك كانت تلاوة القرآن فيه أفضل من سائر الشهور.

ولقد رأينا من سلفنا الصالح من المؤمنين والعلماء من يختم القرآن ثلاثين أو أربعين مرة، حيث كانوا يتلون آياته في الليل والنهار، فكانوا بذلك يعيشون مهرجان الحب والإيمان في رحاب الرب الرؤوف الرحيم.

اعلم أنه ليس المطلوب منك ان تكون مثل أولئك العلماء، ولكن عليك أن تحرص على تلاوة كتاب الله ما استطعت في هذا الشهر الفضيل، وأن تختار أفضل الساعات للتلاوة، ولاسيما في ساعات السحر والفجر، حيث يحين موعد إلتقاء ملائكة الله الكرام؛ الهابطين والصاعدين بين الأرض والسماء، وأن تجهد نفسك في تذكيرها بآيات الله وجزيل ثوابه وعظيم عقابه.

القرآن محراب العبادة

رغم أننا فقدنا الأنبياء والرسل والأوصياء كأبدان، فإن القرآن الكريم ـ وهو خاتم الرسالات وكلمات الوحي ـ لا يزال بيننا. فإذا أردنا أن نكون مؤمنين وإلهيين ومحمديين وعلويين، فعلينا بقراءة القرآن والسير في آفاقه اللامحدودة. فالقرآن سياحة المؤمن وروضة قلبه، وهو معراج الإنسان الذي يحب الله ويريده. وبكلمة: هو محراب عبادة الإنسان الحقيقي، وقربان لكل من أراد العروج إلى الله سبحانه وتعالى.

وعلى هذا الأساس، لنا ان نتساءل عن سبل التدرج عبر القرآن إلى درجات الوعي والتقوى الأخرى؟

والإجابة عن ذلك تكمن في نقطتين:

الأولى؛ إن من آداب قراءة القرآن إظهار الاحترام القلبي له؛ بمعنى ضرورة معرفة من يتحدث إلينا، وهو رب العزة والعظمة. اذن فليس من الصحيح قراءة كتاب الله ما لم يتحسس القارئ حالة الإقبال والخشوع والخضوع والتوجه إلى الله سبحانه في نفسه، وآنذاك ينفتح قلبه على القرآن.

ولكن البعض من الناس يسمعون آيات الله عبر المذياع ـ مثلاً ـ غير أنهم يهتمون بالإنشغال بأمور أخرى. وهذا خطأ كبير، لأن الواجب على

الإنسان المسلم هو الاستماع إلى القرآن والإقبال عليه والتدبر في كلماته المباركة، وذلك لأن هذه الكلمات هي كلمات الله وليست كلمات البشر التي قد لا ينبغي التوجه إليها في أحيان معنية. وعموما فإنه ينبغي لنا احترام كتاب الله بمختلف ألوان الاحترام والاعزاز والتكريم، لأنه هدية الله التي تفضل بها علينا.

أما النقطة الثانية؛ فهي ضرورة معالجة أنفسنا بآيات ربنا. فإذا قرأنا آية منها وكان فيها إشارة إلى خلق فاضل أو خلق سيء أو إلى عمل صالح أو طالح، فلنسائل أنفسنا عن وجود هذا الخلق الصالح والعمل الرفيع أو عدم وجوده فينا، فإن كان موجوداً فرحنا، وإن لم يكن سعينا إلى تكريسه في أنفسنا.

وهكذا يكون كتاب الله ووسيلة رحمته العظيمة معراجاً لنا، إذا أردنا الاستفادة منه عبر إحترامه بشتى الوسائل وعبر معالجة أنفسنا بآياته المباركات.

لنتلوا القرآن ..

﴿شَـهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة/١٨٥)

ان ربيع القرآن وميلاده هو شهر رمضان؛ الشهر الكريم الذي يضاعف الله سبحانه وتعالى فيه عمل الإنسان أضعافاً كثيرة، ولا سيما قراءة القرآن المجيد. فما أروع أن يتحدث الله مع عبده الصائم، فيعيش هذا الأخير الأجواء الروحية الرمضانية التي مَنّ الله بها عليه.

فيا ترى هل يعلم الإنسان كيف يصبح جليس ربه، فيكون محدثُه؟

عليه أن يعرف إن وسيلة ذلك هي قراءة القرآن؛ قراءةً لا يكون محورها التخلص منها والوصول الى نهايتها، وإنما ينبغي أن يقرأ الآيات القرآنية، فيكون همّه الاستماع بأذنه وبقلبه وبروحه وبعقله.. فيثار العقل وتطهر الروح ويصفو القلب وتعي الأُذن.

ولكن؛ كان ديدن الناس البحث عن كيفية تنمية أموالهم وأولادهم وسمعتهم في المجتمع، فينسون بين هذا وذاك تنمية أنفسهم، وهي العلّة الأولى التي من أجلها خُلقوا. وهذا يعني ويتضمن هجرهم للقرآن الكريم الذي من فوائده الأساسية تنمية وتنزيه النفوس والسمو بها إلى أعلى عليين..

أقول: لقد كان لزاماً على الإنسان المسلم أن يتدبر آيات الكتاب المجيد، ويتمعّن في كلماته، فالله قد تجلى فيه لعبده البصير ذي العقل، عبده المفكر والمتذكر دون غيره..

إن شهر رمضان قد مدحه القرآن ورفع من درجة أيامه، لأنها الأيام التي أنزله الله فيها، فهو القائل عز اسمه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ففيه الهدى لمن يعيش العمى، وفيه البينات من الهدى لمن يرغب في إحراز اليقين والبصيرة والعلم والفهم والعمق والقرب من المعنويات والشهود والحقيقة، فيكون كأنه فيها ومنها وعليها.

فإذا قرأ المرء كتاب ربه الجليل انطلاقاً من هذه البصيرة، كان له فرقاناً يميز له الحق عن الباطل، والصح عن الخطأ، والخير عن الشر، وما ينفع عن ما يضر.. فيكون بذلك فوق الآخرين، لأنه ملك الميزان، فأصبح دليلاً لغيره على الطريق الصحيح. وهذه بالذات بغية الإنسان المتطلع إلى النور دوماً.

إذن؛ فشهر رمضان فرصة ثمينة جداً في إطار التقرب من القرآن ومن مُنزله؛ الله العلي القدير، فلنسعَ إلى أن نكون معه، ونأنس به، ونقرأه بحب ومعرفة وتأمل..

الانفتاح على حقيقة القرآن

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص/٢٩)

(لقد تجلى الله لعباده في كتابه ولكن الناس لا يبصرون) هكذا جاء في الرواية الكريمة، إذ أن كل آية من آيات الذكر الحكيم تعبير عن سنن إلهية، واسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وتعبير عن حكمة بالغة، وبصيرة ورؤية واضحة، وعن مفتاح من مفاتيح الوصول إلى حقائق كتاب الله والتدبر في كلماته الشريفة..

هل لنا أن نتساءل عن معنى التدبر الذي أمرنا به.. هل يعني التأمل؟ أم يعني التفكير؟ أم يعني الغور في علم اللغة للتعرف على معاني الكلمات؟ أم هو التبحر في علم البلاغة للإطلاع على حقيقة تركيب الجمل؟

أتصور ان القضية أعمق من هذا بكثير..

فالتدبر في آيات القرآن الكريم يعني -أساساً- الإنفتاح على حقيقة القرآن، بعيداً عن المسبقات الذهنية والحجب والإنتماءات والإرتباطات.

وهذا يعني وجوب أن يجلس الإنسان أمام كتاب الله المجيد جلسة التلميذ أمام أستاذه؛ الأستاذ الذي يعلم ويربي ويزكي.

وإنطلاقاً من هذه البصيرة يمكن فهم معنى التدبر في القرآن وإستلهام هداه ورؤاه وسننه، كما يمكن توجيه حقائقه إلى واقع المجتمع والسياسة والاقتصاد وأنفسنا وخباياها!

لنسلط ضوء القرآن على أنفسنا حتى نعرف من نحن، وكيف ينبغي أن نفكر ونخطط ونقتنع، ونعرف الجيد في حياتنا من السيء.

وعبر التدبر في الآيات القرآنية يمكن الحصول على حكمة الحياة برمتها؛ أي إدراك السنن والقوانين التي يجري الله تعالى الحياة على أساسها.

ولا يتسنى ذلك لنا ما لم ننهض بمستوى استعدادنا الروحي والنفسي للتلقي والتلمذ والتعلم والإستنباط. وعبر هذه المراحل نحصل -بإذن الله- على الرؤية الواضحة والمعرفة الجيدة فيما يرتبط بحياتنا.

أين نحن من هدى القرآن؟!

تُرى أين نحن من القرآن الكريم الذي نعيش ربيعه المبارك في شهر رمضان هذه الأيام؟ إن بيننا وبين كتاب ربنا سبحانه وتعالى مسافة، ولابد أن نطويها حتى نصل إليه. فما هي هذه المسافة؟ وكيف نطويها؟

إن الإجابة عن كل ذلك تتلخص ببساطة بالغة، وهي إن واقعنا هو غير الواقع الذي يدعونا القرآن إليه. فواقعنا هو واقع التجزئة والتخلف، فيما يدعونا القرآن إلى الوحدة والتقدم. وواقعنا هو واقع الفساد الإداري والاقتصادي والسياسي، بينما القرآن الكريم يدعونا إلى الصلاح والإصلاح؛ إصلاح ذات البين في المجتمع، إصلاح ما في الأرض، وبالتالي إصلاح السياسة.

إن نفوسنا -وللأسف الشديد- تختلف عما أراده القرآن، فهي مليئة، بل وطافحة بالحمية والأنانية، ولكن القرآن يدعونا إلى كلمة التقوى والهدى والحبّ، وقد قال لنا بكل صراحة: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ (الحجرات/١١).

ولكن العصبيات والحميات والأحقاد والفوارق المصطنعة وسائر الجاهليات

المتمكنة منّا، تحجزنا عن بعضنا، فهل هذا هو ما أراده القرآن المجيد؟

كلا؛ لقد أحاط بنا الجهل والهوى في وقت أمرنا كتاب ربنا بالسعي إلى حيازة العلم وتحصيل الهدى، ولكي نكون أناساً علميين عقلائيين، فلا نتحرك وفق الحساسيات والعواطف والشهوات.

أين الهدى؟ بل أين نحن من هدى القرآن؟ فإذا لم نعرف مكان الهدى، و لم نعرف موقعنا من هذا الهدى، نكون قد حكمنا على أنفسنا بالانفصال عن الفرقان.

إن شهر رمضان الكريم يعطينا الفرصة المناسبة في إطار قطع المسافة المشار إليها، بل وحذفها حذفاً كلياً، وذلك بوسيلة تلاوة الكتاب المجيد والتأمل والتدبر في آياته المباركة؛ فلا نمرّ على آية قرآنية إلاّ ونتوقف عندها، فنتدبر فيها وفيما تقول.

كيف ننهى أنفسنا عن الهوى لتكون الجنة هي المأوى؟ وما هي وسيلة الوصول الى التقوى، والوصول الى تلك الدرجة التي بلغها المسلمون الذين اُنزل فيهم قوله عزّ اسمه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/٩)؟

وهكذا يتوجّب علينا أن نقف عند كل آية تحدثنا عن المفاهيم والقوانين التي تنتهي بنا إلى سعادة الدنيا والآخرة.؛ ففي القرآن منهاج متكامل للحياة.

فتعالوا إلى الاستفادة من هذا المنهاج العظيم، وإلى عقد العزم على مواصلة الدرب إلى أن نحقق في أنفسنا وفي مجتمعنا واقتصادنا وسياستنا ذلك الأفق القرآني الذي اُمرنا به.

محطة التزود بالدعاء

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان/٧٤-٧٧)

نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا إلى تعلم الدعاء في شهره الكريم؛ شهر رمضان، فقرأنا دعاء السحر ودعاء أبي حمزة الثمالي، وتلونا أدعية النهار وغيرها من الأدعية الجليلة..

ولما كان الدعاء هو مخ العبادة، والحبل المتين المتصل بين الإنسان وربه، وجوهر التبتل إلى الله، ووسيلة تساقط الحجب.. لما كان ذلك كله، كان لزاماً علينا أن نستمر على عادة قراءة الأدعية حتى بعد انتهاء شهر رمضان الكريم، لأن تركها سيكون أشبه بالاستكبار على الله بعد طول إنابة ومناجاة؛ قد تكون بنيت على أساس من المخادعة والجهل، أو اللاوعي على أحسن تقدير!!

صحيح إن الشيطان والظروف الاجتماعية الضاغطة قد تدفع الإنسان إلى الابتعاد عن الدعاء وذكر الله تعالى. ولذلك فإن ربنا سبحانه ينذر أولئك

الذين لا يدعونه بقوله المجيد: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؛ أي إن من يستكبر عن الدعاء وذكر الله بداعي الجهل أو المخادعة أو وساوس الشيطان وضغط الظروف الاجتماعية سيدخل جهنم داخراً..

أما عباد الرحمن الذين بلغوا شأناً رفيعاً من الإيمان والخلق الفاضل، فهم يدعون ربهم أبداً، طالبين إليه أن تستمر فيهم حالة التواضع إليه في أنفسهم وذرياتهم، بل وأن يكونوا أئمة للمتقين وفي خط أئمة المتقين عليهم الصلاة والسلام.

ان الواضح من سياق الآيات الكريمة الآنفة الذكر أن الله تعالى أراد تعليم الإنسان نوعاً من الدعاء، لأن الله قد قال في آخرها: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ﴾.

فالإنسان حينما يذنب وتحيط به خطيئته استحق العذاب من ربه، ولا يرفع هذا العذاب ـ في حال نزوله ـ سوى الإنابة والدعاء. وبالفعل فقد حدث ذلك في سيرة قوم النبي يونس عليه السلام، الذين أنابوا إلى الله في اللحظة الأخيرة، فرفع عنهم ما وعدوا من عذاب شديد.

فلعنا نحوّل ما تعلمناه من دعاء خلال شهر رمضان الكريم إلى سيرة طيبة لما بعد هذا الشهر وخلال السنة كلها، فإذا حلّ بنا شهر رمضان آخر اعتبرناه محطة جديدة نتزود منها لعامنا القابل. وهكذا نكون من السائرين في سلك الإيمان والتقوى الدائمين.

الفصل الثالث

عن ليلة القدر

ليلة القدر ومصير الإنسان

﴿حـم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان/١-٥)

كيف نستفيد من ليلة القدر المباركة ونحن نعيش ساعاتها المحدودة والمعدودة؟

أقول: ان العمر كله محدود، والمناسبات فيه محدودة أيضاً، وحري بنا أن نستفيد منها بصورة نتمكن بها من مقاومة الوساوس الشيطانية التي تؤثر علينا وتبعدنا عنها، كمناسباتٍ وفرصٍ، ما هي في الحقيقة إلا نفحات رحمانية، من الضروري جداً أن نتعرض لها.

ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر! إنها ليلة عظيمة جداً، لاتصالها المباشر بمصير كل إنسان على وجه الأرض. فقد يدخل الإنسان هذه الليلة وقد كتب شقياً؛ أي إنه مثبّتٌ إسمه في ديوان الله سبحانه وتعالى في قائمة الأشقياء والمحرومين من ثواب الله ورحمته. ولكن بعض الناس يدخلون هذه الليلة ويخرجون منها وهم سعداء مكتوب اسمهم في أسماء أهل الجنة والرضوان والطاعة، وفي قائمة المرحومين برحمة الله.

وأنا وأنت مسؤولون عن إستغلال هذه الليلة بكل ما أوتينا من قوة..

وقد تعلّل تكاسلك في إستغلال هذه الليلة بوجود ليالي قدر أخرى -كأن تكون هذه الليلة ليلة التاسع عشر من شهر رمضان- وأنه من الممكن الاستفادة منها.

وأقول لك مذكراً: كم من إنسان تمنى أن يعيش ليلة القدر، ولكنه لم يوفق لذلك بدواع متنوعة، كأن يكون مريضاً، أو كان يعاني ظروفاً إجتماعية ونفسية خاصة، فلا يستطيع حتى مجرد الدعاء.

فلعنا نستغل كل ما له تأثير في حياتي وحياتك، وليس هناك أعظم تأثيراً من ليلة القدر على مصيري ومصيرك..

فلنفكر ثم نصمم ماذا نريد لأنفسنا، ولنتعرف على كيفية صياغة حياتنا من جديد، ولنضع لأنفسنا مثلاً أعلى ثم نحاول الوصول إلى هذا المثل الأعلى. ولنثق بأن الله سيأخذ بأيدينا، لأنه أرحم الراحمين، ولأن موازينه ومحاسباته لها قواعدها الخاصة، غير ما هو متعارف بين الناس. وخير نموذج لذلك، أن العبد العائد التائب إذا إقترب من الله شبراً إقترب الله منه ميلاً، بل أميالا..

فهل تريد من الله التوبة، أو الذرية الصالحة والحياة الطيبة، أو الثروة والإمكانات، أو البرزخ الهادئ، أو الجنة والرضوان؟... أكتب رغباتك وتمنياتك على الله سبحانه وتعالى، واسأله الحصول عليها، واستعد نفسياً وروحياً وأخلاقياً لكي تعايش ليالي القدر الأخرى بالروحية نفسها أو أرقى منها.

ليلة القدر وسيلة الرحمة

﴿إِنَّـآ انزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِـنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر/١-٥)

جعل الله ليلة القدر المباركة خيرا من ألف شهر، وألف شهر يعادل عمر الإنسان، وهو ثلاث وثمانون سنة؛ أي ان ليلة القدر لوحدها خير من عمر الإنسان كله.. ترى كيف صار ذلك؟!

أقول: ان من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وفضله عليهم أنه سخر لهم وسائل الوصول إليه. فقد تكون الوسيلة ليلة، وقد تكون منطقة، وقد تكون شخصا.

فالكعبة جعلها البارئ عز وجل مثابة للناس وأمنا ووسيلة إلى رحمته، وصحراء عرفات وسيلة من وسائل رحمته، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام وكذلك الائمة الأطهار هم وسائل رحمته؛ فمن أراد الله بدأ بهم.

ومن تلكم الليالي ليلة الجمعة، وليلة العيد، وليلة النصف من شعبان، وغيرها.

ومن المؤكد أن أفضل الليالي هي ليلة القدر، وقد جعلها الله في شهر رمضان المبارك وسيلة عظيمة إلى رحمته المعنوية. فمن أراد الله سبحانه وتعالى دخل من باب هذه الليلة، ووصل إلى الرحمة الربانية المطلقة..

ففي هذه الليلة تتنزل رحمة الله، وتتنزل الملائكة بالبركة والإذن بإستجابة الدعاء، بل والدعاء لعباد الله الصالحين والتأمين على دعائهم.

ومن هنا كان المؤمنون مدعوين إلى التوبة والاستغفار؛ التوبة التي تعني الندم وإصلاح الذات وإعادة الحسابات، فليحاسب المؤمنون أنفسهم وتاريخهم، إذ لا يتسنى لأحد أن يبرئ نفسه وينسب الكمال إليها.

فتعالوا في هذه الليلة المباركة -ليلة القدر- لنراجع حساباتنا، وندعو الله سبحانه من خلال عدة ساعات، ولو للحظة واحدة حيث تتصل قلوبنا بنور الرب العظيم. وإذ ذاك ستكفينا هذه اللحظة الواحدة، لأنها أحدثت في ذواتنا التحول المطلوب، وأسقطت كل الحجب التي تقف بيننا وبين ربنا.

فلنحاول ثم نحاول، ولنجتهد ثم نجتهد للإمساك بهذه اللحظة، حيث يتم اللقاء الأبدي بين قلوبنا وبين نور الرب.

وما أدراك ما ليلة القدر..

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/١٨٦)

ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؛ انها ليلة تقترب فيها السماء من الأرض حتى تنعدم المسافة بينهما، وفيها يقترب الإنسان من ربه، فتقترب منه رحمة ربه، وفي هذه الليلة تفتح أبواب السماء.

إنها خير فرصة لتتقدم بها إلى ربك بالتوبة فتتوب بذلك توبة نصوحا. فإن من لم يتب إلى الله في هذه الليلة، أو لم تقبل توبته، فقد لا يوفق إلى إدراك التوبة إلا إذا أدرك الحج ودعا ربه عند موقف عرفة الشريف فقط.

ما أروع أن يعرف الإنسان ان الله يدعو الناس إليه في شهر رمضان دعوة خاصة، فهو يدعوهم إلى أن يدعوه. فمن تاب، تاب الله عليه، ومن تقدم نحو ربه خطوة، تقدم الرب نحوه خطوات. فالله يحب التوابين من عباده.

ولعل هذا المثل الذي ورد في الحديث الشريف يوضح لنا حب الله لمن يعود إليه، عن الإمام الباقر عليه السلام: "إن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من

رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها". (١)

إن أمام التائب رحمة لا تحدها حدود، فليطلب ما يشاء من خالقه. ومن العار على المخلوق أن ييأس من هذه الرحمة، فهل هو يشك في وعد ربه وعهده؟ أم إنه قد استسلم للشيطان، ومنح نفسه صلاحية الحكم عليها بالسقوط الأبدي؟!

فليطلب الإنسان من ربه في ليلة القدر، وهي ليلة التوبة، خير الدنيا وخير الآخرة، وليطلب السعادة لنفسه ولذويه وللآخرين، وليطلب المغفرة والهداية وعاقبة الخير.. فهو إذا مات على تعاسة وشر، كان في تعاسة وشر أبديين؛ وإذا مات على سعادة وخير، كان في سعادة وخير أبديين. فليطلب التائب ثم يطلب حتى يلتفت إليه الرب ولو لفتة من لفتات حنانه، فمن أطال قرع الباب، أوشك ان يفتح له.

في ليلة القدر؛ حري بالمؤمنين أن يدعوا لمن مضى من آبائهم وأمهاتهم واخوانهم وأصدقائهم، فهم من قصرت أيديهم وآمالهم من الدنيا، وهم لا يملكون لأنفسهم شيئا.

وأن يدعوا لأولادهم ولذرياتهم بالصلاح، وأن يحضّوا الآخرين على ان يدعوا لهم، وروي إن الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام: "يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنى لي بذلك؟ فقال: ادعني على

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٣٥، ح٨.

لسـان غـيرك". (١) وإن تعـاون وتضـامن المؤمـنين في أدعيـتهم، لهمـا خـير تعاون وتضامن.

ولا ينـبغي لـلراغب في إحيـاء ليـلة القدر إن ينسى الدعاء بالمأثور عن أئمة أهـل البيت عليهم السلام، هذه الأدعية التي فيها الحياة، وفيها التعبير الصادق عن حقيقة التوبة والرغبة الخالصة إلى الله وطلب القرب منه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٤٢، ح١١.

الإمام علي عليه السلام شهيد ليلة القدر

في مثل ليلة القدر الجليلة يفترض أن نتساءل عن العلاقة بين هذه الليلة وبين شهادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أو لنقل العلاقة بين القرآن ووصي المرسل بالقرآن؟

وتبدو العلاقة علاقة وطيدة ومتينة، إلى حد يعجز فيها الباحث عن إيجاد ثغرة ولو بمقدار شعرة. فحقائق القرآن التي قد تجلت في المفاهيم والمبادئ والنور والعطاء والرحمة، تجلت أيضاً - وهي نفسها لم تتغير- في هذا الإنسان الفريد.

لقد كان الجيل الأول الذي أنزل عليه الكتاب يمتاز بأنه قد تجلت فيه وفي أفعاله وصفاته ومواقفه وحتى أفكاره، آيات الكتاب. وكان أمير المؤمنين صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصنيع القرآن، والشهيد والشاهد بالقرآن الكريم، بل كان بدوره قرآناً ناطقاً.

وإذا ما سألني أحدهم عن إمكانية تطبيق هذا القرآن، وكله سمو وعظمة ومجد وخلق عظيم، وعن إمكان تحقق كل ذلك في هذا الكائن الضعيف الذي تحوم حوله الشكوك والأوهام، وتحتوشه المشاكل والمخاطر والشهوات، وهو الكائن المدعو بالإنسان؟!

أقول: بلى؛ لقد طبق أناس ما جاء في الكتاب بحذافيره، ولم تكن ثمّ فاصلة تعزلهم عما كان يحتوي، وعلى رأس من حقق ذلك رسول الله عليه

الصلاة والسلام، هذا الإنسان الذي سُئل أحد الصحابة عنه، فأجاب بقوله: كان خُلُقه القرآن.

فإذا أردت رسول الله فاقرأ القرآن، وإذا أردت القرآن فأنظر إلى رسول الله، ونفس رسول الله علي بن أبي طالب بشهادة القرآن، إذ قال جلّ وعلا في قصة المباهلة:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾

ولذلك؛ كان إذا أردنا فهم كتاب الله، فعلينا أن نفهم رسول الله ثم علياً والأئمة من ولده سلام الله عليهم أجمعين. وإذا أردنا أن نفهمهم، فلابد من قراءة القرآن قراءة حكيمة واعية. فقد كان أحدهم انعكاسا للآخر وتجسيدا له، وإذا رغبنا باتباع القرآن فما علينا إلا دراسة حياة النبي وأهل بيته وأتباعهم، وعكس ذلك صحيح قطعا.

فالإنسان الواعي والمنصف والراغب في معرفة القرآن يجد أن كل نص فيه أو مفهومه متجسداً في أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. فإذا هو قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ وجد مصداقه في حمزة سيد الشهداء، حيث وجده النبي صلى الله عليه وآله متضرجاً بدمائه لما أصابه بما يزيد على سبعين جرحاً، أما ما تجسد في الإمام علي عليه السلام وفي المعركة ذاتها، فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: (يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: "أبشر فإنّ الشهادة من ورائك؟" فقال لي: "إنّ

ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟" فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر). (١)

فبقي علي بن أبي طالب طيلة حياته ينتظر لحظته الموعودة، حتى كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وهي من ليالي القدر، حيث كان يكثر من الدعاء إلى الله بتعجيل الشهادة واللحاق بالرسول الأكرم، إلى أن استشهد على يد أشقى الآخرين، حيث إستقبل الضربة الغادرة القاتلة بمقولته الشهيرة التي إن عبرت عن شيء فإنما تعبر عن التلاحم المطلق مع كتاب الله: (فزت ورب الكعبة).

آفاق الدعاء في ليلة القدر

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/١٨٦)

أين الله؟! لا تسأل نفسك هذا السؤال.. ولكن قل مراراً وتكراراً: أين أنا من الله؟!

إنه لا يخلو منه مكان، وهو معك يسمعك ويراك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: "إن موسى بن عمران سأل ربه ورفع يديه، فقال: يا رب أبعيد أنت فأناديك أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني". (١)

ولما كانت ليلة القدر الجليلة من شأنها أن تحملك على نسيم لحظاتها المصيرية، لتسمو وتتغير تغييراً جذرياً، لذا فإن هذه الليلة هي ليلة الفصل التي من الممكن أن تطوي ماضيك وتنير مستقبلك.

أما الوسيلة الأكثر تعميقاً لعلاقتك بالله في هذه الليلة هي الدعاء. وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٢٢، ح٣٤.

"الدعاء مخّ العبادة". (١)

إن الدعاء في ليلة القدر حبل يمتد بينك وبين ربك، فاجتهد بإحراز الاجتهاد والخشوع والحياء مما اقترفت من ذنوب. وليكن في حسبانك أنه لطالما أنعم الله عليك، ولكنك لم تشكره وأفرطت في جنبه، ولتعقد العزم على العودة إلى قابل التوب؛ الغفور الرحيم، عودة راج منيب نادم على ماضيه.

وأعلم أنك حينما تسأل ربك بعد اعلان توبتك الصادقة والنصوح، فإنما تسأل رباً كريماً جواداً غنياً؛ لا يزداد مع كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، فسبحانه من إله لا يبخل مهما كثرت المطالب منه.

إنك مسؤول في ليلة القدر أن تدعو لأبويك وإخوانك ولكل من يمت إليك بصلة قربى أو صداقة، كما أن من المهم جدا أن تدعو للأمة الإسلامية لينقذها الله من أزماتها ومشاكلها وأعدائها. في هذه الليلة عليك أن تطلب إلى ربك أن يلغي عن كيان الأمة حالة الحرمان والتخلف والتجزئة والهيمنة الأجنبية، وأن يخلص شعوبها من المصائب والنكبات التي تعانيها.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٤٥، ح٥٥١٩.

الفصل الرابع

من أجل الإنسان

الكرامة الإنسانية في القرآن

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الاسراء/٧٠)

لو عرفنا أنفسنا فإننا سنطوي مسافة شاسعة جداً، وسنقترب إلى حيث أراد الله وإلى ما نتطلع إليه من التعالي والتسامي.

فنحن لسنا كسائر المخلوقات والأحياء الأخرى التي وُجدت في هذه الحياة، حيث تراها تتمتع وتهيم ثم تغادر الدنيا كما جاءت..

كلا، فنحن ممن خلقه الله وكرّمه وفضّله وسخر له الأشياء ليكون مستحقا لخلقته، وليسمو إلى مستوى ضيافة الرحمن، وأن يكون جليسه في مقعد الصدق. وهذه فرصة لا تعوّض، وليس من المعقول تضييعها.

ولكن الملايين، بل آلاف الملايين من البشر أضاعوا فرصة عمرهم عبر التاريخ، فهبطوا إلى مستوى البهائم، و لم يعد ثم فرق بينهم وبينها؛ بل هم أضل سبيلا، كما عبر عنهم الخالق عز وجل نفسه.

وتحرر الإنسان، ما هو إلاّ عدم خضوعه لغير العقل؛ العقل الذي يهديه إلى الله والشرع القويم، ويجنبه الوقوع في كمائن الشيطان والشهوات، والاستسلام للضغوط والإرهاب، لأن الإنسان الحر بحق يرى نفسه أكبر

من السقوط، وأشرف من الشهوات، وأقوى من الضغوط والإرهاب والأطماع والرغبات والأنانيات.. وإذا كان الإنسان كذلك، فإنه استحق الحياة وسما إلى حقيقة الإنسانية وجوهرها.

ولكنه إذا انهار أمام ما يتعرض له من الفتن، فلا يسعه إدعاء الحرية والكرامة، كما لا يمكنه اشتراط عدم تعرضه للمصاعب والفتن في إطار نيله الكرامة.

إن الإنسان خلال حياته الدنيوية محكوم بالخوض في الفتن والتعرض للإرهاب والرغبات وأنواع البلاء عموما. فالتاريخ يضغط عليه، وكذلك التربية والمجتمع والسلطة.. وكل ذلك يريد سرقة الكرامة والحرية منه.

وهو ملزم أيضاً بالانتصار على كل هذه العوامل، وليس ذلك ـ الانتصار ـ بالغريب على الإنسان الطموح إلى بلوغ جوهر الإنسانية ومن ثم جنان الخلد ورضوان الله.

فهذه السيدة الجليلة آسيا بنت مزاحم وزوجة فرعون، جاهدت ـ بكل ما للكلمة من معنى ـ لنيل كرامتها وحريتها، و لم يخدعها ما كانت تتمتع به من إمكانات، كما لم يثن عزمها التعذيب الفرعوني الرهيب. ومثل آسيا الآلاف المؤلفة ممن استعادوا حرياتهم الحقيقية، ونالوا كرامتهم الأصيلة، مفضلين التحدي وتجاوز العقبات الكثيدة على الخضوع للشهرة العابرة والسقوط في مهاوي الدنيا المتلونة المضطربة. فالحرية في نظرهم العامل المهم في فرض النظام وبسط العدالة على مناحي الحياة، والاستمرار في عملية التحدي في طريق الحصول على الكرامة والكمال، مهما كلف ذلك من ثمن..

في رحاب العزة

﴿مَـن كَـانَ يُـرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَـلُ الصَّـالِحُ يَـرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر/١٠)

من الثوابت المسلّم بها إن من أسمى تطلعات الإنسان هو حصوله على العزة، وكذلك من أسوأ ما يمكن أن يبتلى به المرء هو تعرضه للهوان.

فما هي العزة؟ وكيف يستطيع الإنسان الوصول إلى ما تصبو إليه نفسه من العزة؟

إن العزة حالة ذات بُعدين، بُعد قائم في أعماق النفس والقلب والفكر، وبعد آخر قائم في الخارج، وله واقعه الخاص به.

فالعزة النفسية هي إحساس الإنسان برفعة شخصيته، وأن يكون في نفسه محترماً لنفسه. أما حينما يحس بالهوان والضعة والصغار ولا يكنّ لنفسه الاحترام، فمثل هذا لن تنفعه العزة الظاهرية، ويكون كمن كان قذر البدن نظيف الثياب، وما نفع نظافة الثياب مع قذارة البدن؟

أما كيف يعيش المرء العزة النفسية الحقيقية؟

إنه يعيشها حينما يعرف نفسه، ولن يعرف الإنسان نفسه حتى يعرف

ربه؛ أي حينما يعرف أنه مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى ليكرمه ويعزه، وأنه لا شيء في هذه الحياة بمقدوره إهانته ما دام متصلاً برب العزة والملكوت؛ ملكوت السماوات والأرض..

أما البعد الآخر للعزة؛ أي العزة الظاهرية، فهي أن يكون الإنسان غير محتاج إلى الآخرين، لاسيما الأشرار والدنيئين. فقد جاء في المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: "إستغن بالله عمن شئت تكن نظيره". (١) كما روي عن مولانا علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال بحضرته رجل: "اللهم أغنني عن خلقك، فقال عليه السلام: ليس هكذا: إنما الناس بالناس، ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك". (٢)

نعم؛ إن العزة الظاهرية هي ألا يتكبر الإنسان على أحد، وألا يقبل أن يتكبر عليه أحد. فلا تسمح لنفسك بقبول الهوان من أحد، ولاسيما من المجرمين -وهم كثير- الذين يحاولون وضعك في قفص الإتهام، أو ملاحقتك بالسب وتوجيه تافه القول.. لا تسمح لأحد أن يذلّك أبداً. ولعلك قد سمعت بالحديث المروي عن سماعة إذ قال: "قال أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام: إن الله عز وجل فوّض الى المؤمن أموره كلها، و لم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه". (٣)

اذن؛ فالعزة الباطنية هي معرفة قيمة النفس، أما ظاهر العزة هي أن تحترم نفسك وأن لا تقبل الهوان لها..

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٠، ح٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٣٥، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة، ج١١، الباب١٢، ص٤٢٤، ح٢.

ومن هنا؛ قال ربنا سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّه الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾، ثم يعطف بالقول الكريم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فالكلمة الطيبة والعمل الصالح كأنهما جناحان يسمو بهما المؤمن ويحلق إلى ما شاء من العزة الإلهية المطلقة.

التقوى ركيزة

﴿يَـآ أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الانفال/٢٩-٣٠)

لكي ينتصر الإنسان على أعدائه، لابد أن تتوفر لديه وفيه شروط عديدة:

أولا: أن تكون لديه العزيمة الكافية والإرادة الأكيدة لمقاومة الأعداء.

ثانيا: أن تتوفر فيه الرؤية الواضحة لتشخيص العدو، ولإحراز طرق مواجهته.

ثالثا: أن تكون لديه القدرة المناسبة على التركيز والتعاون وتكثيف القوة.

رابعا: أن تكون لديه القيادة الفذة لتوجيه مسيرة المعركة.

خامسا وأخيراً: وفرة الوسائل المادية التي تتيح له فرصة الانتصار.

والآن إذ أن المسلمون قوة كبيرة على وجه الأرض، كيف يمكنهم توجيه هذه الإمكانات التي بين أيديهم إلى قوة فعلية حقيقية؟ وكيف يمكنهم الاستفادة من مميزات شهر رمضان المبارك في هذا الإطار؟

وقبل الإجابة على ذلك، لابد من معرفة أن ركيزة القوة الأساسية لدى الإنسان المؤمن هي التقوى، حيث ينطلق منها لتصحيح مسار حياته والوصول إلى أهدافه.

وهذه التقوى لا يمكن تحصيلها إلا بالمران والمراس والتربية الذاتية.

وشهر رمضان الكريم هو شهر التقوى بحق، وقد جاء في كتاب ربنا المجيد: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٨٣) أي إن الصائم ملزوم بالنهوض بمستوى تقواه في هذا الشهر إلى حد يضمن له تحقيق أهدافه..

ترى ما هي العلاقة اذن بين التقوى وبين تلكم الشروط المتقدمة الذكر؟

ان العلاقة واضحة من حيث إن التقوى تجعل الإنسان ذا فرقان يعرف به الحق والباطل فيميز بينهما، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الانفال/٢٩) والتقوى تؤهل المرء ليميّز الخير من الشر والصحيح من الخطأ والصديق من العدو. اذن فهي تعطيه الرؤية السليمة.

ثم إن التقوى تجعل المسلمين أقرب إلى بعضهم البعض، لأن الحواجز التي تمنعهم عن بعضهم كالحميات والعصبيات والأنانيات كلها تنهار أمام كلمة التقوى وآفاقها. إذن فالتقوى هي عامل توحيد لا تفرقة.

والتقوى أيضا تعرّفهم على القائد المناسب أو الأنسب، لأن الأتقى والأفقه والأعلم هو القائد الصحيح للأمة، إذ تحت لوائه ينصهرون ويقومون بالدور الكبير.

ومن هنا؛ يقول ربنا سبحانه وتعالى بهذا الصدد: ﴿وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الانفال/٣٠) لأن التقوى كما هي ردع النفس عن ارتكاب المحرمات، هي في الوقت ذاته إعطاء الخطة المناسبة لمقاومة مكر المنحرفين والطغاة..

التقوى؛ ينبوع الوحدة

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْـلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران/١٠٢-١٠٣)

شهر رمضان الفضيل يمنحنا الفرصة للتزود من معين التقوى، إذ التقوى هي المحصلة النهائية العظيمة لشهر الله الكريم.

أما كيف نستفيد من هذه التقوى، وفي أي مجال؟

لنعلم ان الروافد التي تنبعث من ينبوع التقوى كثيرة ومتنوعة. فالتقوى تجعلنا أقدر على تزكية النفس، وأقدر على معرفة الأعداء وتحديدهم والتصدي لهم. الا أن للتقوى رافداً عظيماً للغاية، ولو تعرفنا إليه واستطعنا تفعيله في حياتنا لكنا من الفائزين بإذن الله عز اسمه، إنه رافد الوحدة. فربنا تبارك وتعالى قبل أن يأمرنا بالإعتصام بحبله يحثنا على تحصيل ملكة التقوى، فيقول: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

فمن دون أرضية التقوى، ومن دون عمارة النفوس بروح التقوى ومخافة الله والساعة، فإن قضية التقوى ومشروعها سيكونان إطاراً بلا محتوى، في حين يجب أن يكونا محتوى قبل أن يكونا إطاراً؛ أي وجوب تآلف النفوس على أساس التقوى.

ولذلك؛ قال الله سبحانه بعد الأمر الصارم والمطلق بالتقوى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ ثم قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ أي إن هذه نعمة من الله يلزم وضعها نصب أعيننا كمؤمنين، وهي الوحدة بين القلوب؛ القلوب كلها وبأنواعها، كالوجدان، ونقطة التقاء العواطف، والعقول، والوجود الإنساني عموما. فالقلوب هي التي اتحدت بسبب التقوى، وبسبب معرفة الله سبحانه وتعالى. ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ فالتقوى تجعل المؤمنين إخواناً في الدنيا رغم تفرق أبدانهم ومصالحهم الفردية ومواطنهم وانتماءاتهم العرقية وألوانهم ولغاتهم.

وعلى ذلك؛ فمن الجدير الاستفادة من روح التقوى التي يحصل عليها المرء خلال شهر رمضان المبارك لإنجاز مشروع الوحدة الكبير، عبر المحاولات المستمرة والجدية في هدم حواجز الشيطان التي من شأنها الفصل بين الأخ وأخيه، والصديق وصديقه، والمجاهد ونظيره، وعبر الاقتراب المتواصل، لكي يتم في نهاية المطاف تشكيل الكتلة الإيمانية القوية القادرة على مقاومة ومواجهة التحديات المادية والمعنوية، ومواجهة البأساء والضراء..

المؤمن؛ ذلك الشجاع

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ (العاديات/١-١١)

كانت حياة نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وحياة أصحابه، وفي طليعتهم أمير المؤمنين سلام الله عليه، مثلاً رائعاً في كل صفات الخير ومُثل الكمال، ومن أبرزها صفة الشجاعة والتحدي.

فالحروب والغزوات والسرايا التي وقعت في عهد النبي، تجلت فيها أعلى درجات البطولة والشجاعة.

وقد أخبرنا التاريخ المؤكد أن عدداً ضئيلاً من المسلمين كانوا قد ذهبوا ليوقفوا حركة قريش التجارية وقوافلها، ولكن تلك القوافل غيرت مسيرتها، ففاتت المسلمين الذين استقبلوا من جهة أخرى جيشاً كبيراً مدججاً بأفضل الأسلحة وخيرة مقاتلي قريش وأبطالها وفلذات أكبادها، ليقضوا على الوجود الإسلامي الفتي، في وقت لم يكن المسلمون مستعدين للحرب، وآية ذلك افتقارهم إلى الأسلحة والمراكب، وعدم قصدهم الحرب بدءاً.

ولكن حينما جد الجد والتقى الجمعان، شمخت فيهم ـ المسلمون ـ تلك الشجاعة الرائعة، فهزم الله عز وجل الأعداء..

ومما يشار إليه بجرأة إن جميع أو أغلب الحروب التي خاضها المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وآله كانت الكفة المادية تميل لمصلحة الكفار، إلا أن الشجاعة كانت العامل الذي أمتاز به الصحابة والركيزة التي حدّدت مصير المعارك ونتائجها.

وهذه الحروب والغزوات أصبحت ـ بفعل ما سطره أبطال كفة الإيمان والشجاعة ـ دروساً لمن أتى من بعدهم.

فالقصة التي سجلها القرآن الكريم في سورة العاديات المباركة، تستعرض إحدى الغزوات التي قام بها المسلمون بقيادة سيف الله وبطل الإسلام الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، إذ فاجأوا أعداءهم مصبحين بعد طول انتظار، وبعد تراجع من قاد مقاتلي المسلمين، فكان مثل هذا الموقف الحرج بحاجة إلى شجاعة قائد فذ كالإمام علي عليه السلام ليحرض مقاتليه على تسطير أروع البطولات، ولتكون هذه الأخيرة مثلا يضرب.. فهزم المسلمون أعداءهم بحركة خاطفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحبّ البصر النافذ عند مجيء الشهوات، .... ويحبّ الشجاعة ولو على قتل حيّة". (١) بمعنى أنه لا يمكن تصور المؤمن جبانا، لأن الجبن لا يمتُّ إلى الدين بأية صلة. فالمؤمن علّمه الدين الاستهانة بالدنيا العاجلة، كما دفعه دفعاً متواصلاً إلى الحرص

(١) بحار الأنوار، ج٦١، ص٢٦٩، ح٣٣.

علـى نيـل الفضـائل والمثل العليا والتطلع إلى الأفق البعيد. وما أروع الشجاعة مـن فضـيلة، ومـثالاً عاليـاً، ومـا أكفى الشجاعة من وسيلة فذة إلى الوصول إلى الأهداف النبيلة والمرجوة..

ولقـد كـان مـن طبيعة الإنسان حبه للخير، ولكن كيف يوازن المؤمن بين حبه للخير وبين توق نفسه لشهوات الدنيا؟

إن الـتفكير بالآخـرة هـو عـامل الـتوازن، لأنـه يدفع إلى حد بعيد الإنكباب والتكالب عـلى الدنيـا وزخارفها المؤقتة، فإذا إستهان المؤمن بها، وهب لنفسه حيـاة جديدة. وبكلمة أخرى؛ إن الإنسان المؤمن يدافع عن كرامته ويسعى إلى ضمان الآخرة ونعيم الخلد بشجاعته التي تدعمه في الاستهانة بالدنيا.

أمـا مـن كـان جباناً، فإنه عديم الجرأة على التقدم والطموح وكسر أغلال الشـيطان، فـتراه يـبقى قابعاً في سجن ذاته ودنياه الزائلة، فيخسر حياته بمهانة مطـلقة؛ عـلى الضد تماماً من الشجاع الذي يستمر في المقاومة والإقدام حتى ينتصر، فيربح حياته بشجاعته وبطولته.

من أجل سلامة الجيل الجديد

﴿يَـآ أَيُّهَـا الَّذِيـنَ ءَامَنُوا قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلآئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم/٦)

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله حضر شاباً عند وفاته فقال لـه: قـل لا إلـه إلاّ الله، قـال: فاعتقل لسانه مراراً فقال لإمرأة عند رأسه: هل لهذا أمٌّ؟ قـالت: نعم أنا أمّه، قال: أفساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كلّمته منذ ستّ حجج، قال لها: إرضي عنه، قالت رضي الله عنه برضاك يا رسول الله. فقال له رسول الله: قل لا إله إلاّ الله قال فقالها .... (١)

مـن الملاحـظ أننا لا نرضى -عـادة - لأولادنا أن يصيبهم أبسط الألم، فلماذا نرضى لهم أن يكونوا وقوداً لنار جهنم يتعذبون فيها خالدين؟!

لعـل السبب في ذلـك أننا نغفل أو نتغافل عما يفعله الأولاد من الموبقات والفواحش الـتي يستحقون عـليها عذاب النار، وعندها سنكون معهم لأننا نستحق النار أيضا بغفلتنا تلك.

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص٧٥، ح٦٧.

في حين أننا إذا أوليـنا لهـم الإهتمام، فربيناهم التربية المناسبة ووضعنا كل شـيء في محلـه، دخلوا ودخلنا معهم الجنة الأبدية، وكنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ولقـد كـان من عظيم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قـال: مـرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هـو لا يعـذّب، فقـال: يـا ربّ مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذّب، ومررت بـه العـام فـاذا هـو لـيـس يعـذّب، فـأوحى الله إليه انّه أدرك لـه ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً فلهذا غفرت له بما عمل ابنه.

ثـم قـال رسـول الله صـلى الله عـليه وآلـه: مـيراث الله عز وجل من عبده المؤمـن ولد يعبده من بعده ثمّ تلا آية زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾. (١)

وفي شـهر رمضـان نستطيع أن نضع لأنفسنا واستلهاماً مما نقرأه من كتاب الله وروايـات الـنبي وأهـل بيته عـليهم الصـلاة والسـلام أفضل برامج التربية لأولادنـا وتحويـلهم إلى رجـال صـالحين ونسـاء صـالحات، لنكون قد قدّمنا لدينـنا ومجتمعنا أفضـل الخدمـة من جانب، ونكون قد ضمنّا لأنفسنا شفاعة من صلح من ذريتنا في دخول الجنة واستحقاق رضوان الله الأكبر..

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٩٨، ح٥.

الصيام والسلامة البدنية

﴿يَـا بَـنِي ءَادَمَ خُـذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْـرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّـبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الاعراف/٣١-٣٢)

من الفوائد الكبيرة للصيام ان الصائم يضمن إلى حد كبير صحته وعافيته البدنية، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "صوموا تصحوا". (١)

إن الجسم في حقيقته مطية الروح، فإذا كان عليلاً كانت الروح عليلة، وإذا كان سليماً قوياً مستوياً إستطاع المرء ان يحلّق بواسطته بروحه. تماما كذلك السائق الماهر الذي يقود سيارته الراقية الفارهة، فهو يستطيع الوصول بواسطتها إلى حيث يريد، والعكس بالعكس أيضاً.

ولتعلم أن الصحة والمرض قدران ربانيان، ولكنهما في الوقت نفسه يتعلقان بإرادة الإنسان. فمن أراد أن يعيش صحيحاً معافى، تسنى له ذلك عبر الالتزام بالقواعد التي أمره الله سبحانه وتعالى بها.

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٣، ص٢٥٥، ح٣٣.

ولعل من أبرز تلكم القواعد الصحية ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ قاعدة الصيام، لأنه يوفر للإنسان الفرصة لتبديل خلايا جسمه، نظراً لان الصائم الذي يفرض على نفسه الجوع لفترة معينة، تبدأ خلايا بدنه الإضافية والضعيفة بالاحتراق والتبدل إلى خلايا جديدة وقوية. ولذلك تجد الصائمين يشعرون ـ ضمن قانون طبي ـ بعد شهر رمضان بالحيوية والنشاط والخفة، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى؛ فإن المرء حينما يكف نفسه ويمنع شهيّته إلى الطعام، فإنه يكفها لفترة النهار في شهر رمضان، ولكنه لفرط التزامه سيكف نفسه عن كثير مما يضره حتى بعد انتهاء شهر رمضان من وجبات غذائية كان يسرف في تناولها.

إن الكثير من الناس يصابون بالأمراض المستديمة أو يموتون لعدم تقيدهم بالنظام الصحي الذي أمر به الطبيب أو لعدم إهتمامهم بصحتهم، أو لعدم وجود الإرادة الكافية لديهم لمقاومة شهوة تناول الطعام الذي يعرضهم للخطر.

في حين تجد الصائم ـ باعتباره يمرّن نفسه ويحدّ من شهواته ـ بإمكانه تطبيق أرقى نظام غذائي مفروض عليه من قبل خالق بدنه وغريزته، وخالق إحتياجه إلى الطعام..

ومن هنا؛ علينا ان نحاول خلال شهر رمضان التدرب على الإلتزام بما ينفع صحتنا، ويضمن سلامة أبداننا. ولنعتبر هذا التدرب بمثابة انطلاقة مهمة للسيطرة على أنفسنا وشهواتنا وكبح جماحها قبل وقوع الضرر وحصول الإسراف..

ميلاد النهضة

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/٢٥٠-٢٥١)

من ميزات شهر رمضان المبارك أن المؤمنين يواجهون أعداءهم فيه بروح معنوية عالية. ولم يكن من الصدفة أن الحروب الكبرى التي خاضها المسلمون المؤمنون وانتصروا فيها، قد وقعت في شهر رمضان الكريم، ذلك لأن الله جل جلاله يرفد المؤمنين في هذا الشهر زخماً معنوياً وبركة وقدرة هائلة تمكنهم من التصدي والتحدي.

ففي معركة بدر المظفرة مثلاً، حيث كان المسلمون أقلية ضعيفة وفقيرة، حدث أنهم انتصروا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، إذ ان هذه المعركة كانت من الطرف الإسلامي تحت قيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي شهر الله المبارك.

إن الرجل ليستطيع إلحاق الهزيمة بأقوى أعدائه بشرط أن يزود نفسه بالإرادة اللازمة، نظراً لأن الحرب بحقيقتها هي حرب إرادات قبل أن تكون حرب وسائل مادية ومواقع جغرافية أو غير ذلك؛ فالحرب هي صراع الإرادات.

كما يستطيع الرجل ان يشحذ العزم ويقوي الإرادة ويعقد الهمة بالتوكل على خالقه ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء والجبروت؛ أي يعلّق إرادته بمصدر القوة والظهور والغلبة. هذا من ناحية التوكل، أما من ناحية التأثير المباشر الذي يضفيه شهر رمضان على روح الإنسان المؤمن، فيمكن القول بأنه إذا صام وكف نفسه عن المحرمات فقد قويت إرادته، وتنزلت عليه الرحمة من ربه، بعد أن وطد علاقته بالله وأعلن دعاءه وتواضعه وتوسله وضراعته له..

ويضرب الله لنا المثل الرائع في قصة بني إسرائيل وملكهم طالوت عندما برزوا لطاغية جالوت. فحين أصبحت المعركة وشيكة الوقوع، قال المؤمنون متضرعين إلى ربهم القوي العزيز: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾، فهم لم يطلبوا من الله هزيمة عدوهم بصورة طبيعية، بل طلبوا منه أن يقوي أنفسهم بالصبر ليلحقوا ـ هم بأنفسهم ـ الهزيمة بعدوهم بتوفيق وإذن الله. ثم قالوا متوسلين: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ لتكون كل جوارحهم وكل وجودهم رؤية صحيحة على أرضية من اليقين، إذ اليقين والرؤية الصحيحة والثاقبة من شأنهما تثبيت قدم الإنسان.

إذن؛ فشهر رمضان المبارك هو شهر النهضة والإنبعاث والقيام والتحدي.. وإذا لم تسنح الفرصة للمؤمنين للانتصار على أعدائهم، فإنهم مسؤولون في هذا الشهر المبارك عن توحيد صفوفهم ووضع خططهم الواعية للتمهيد لنهضتهم وانتصارهم، وهم بذلك سيزدادون إيمانا وفاعلية في مواجهة أعدائهم.

الفصل الخامس

في العيـد

ليلة الغفران

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم/٨)

أبارك لكم ـ أيها المؤمنون ـ صيامكم وقيامكم طيلة أيام شهر رمضان الكريم، كما أبارك لكم عيد شهر الصيام؛ فإستعدوا لأخذ جوائزكم من ربكم الجليل، فقد جاء في الحديث المروي عن علي ابن الحسين عليهما السلام: "إن الله جلّ وعلا يعتق في أول ليلة من شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار، فاذا كان العشر الأواخر عتق كل ليلة منه مثل ما عتق في العشرين الماضية، فاذا كان ليلة الفطر أعتق من النار مثل ما أعتق في سائر الشهور". (١)

إذن؛ فليلة عيد الفطر هي ليلة الجائزة والغفران. ونحن حينما نسمي يوماً من الأيام عيداً، فإننا نعني ذلك حقاً، ونخصصه بإعتباره يوما لإستئناف

(١) بحار الأنوار، ج٩٣، ص٣٧٢، ح٦٠.

الحياة وإعادة الحركة من جديد، بناء على ما تمت الإستفادة مما سبقه من أيام، كعيد الفطر الذي إنتهت عنده أيام الصيام والقيام والدعاء والمناجاة والإحساس بجوع الفقير وبذل المساعدة له. كما نقصد به طي صفحة الماضي بسلبياته، وأن المستقبل - لوحده - هو ما بقي لنا.

ففي يوم عيد الفطر حريٌّ بنا أن نفتح صفحة جديدة طاهرة لعلاقتنا بالله وبأنفسنا وبالمجتمع وبجميع المسؤوليات الملقاة على عواتقنا.

فحينما نعلم أن الله تعالى غفر لنا ذنوبنا، علينا بذل المزيد من الجهد لإستئناف الحياة من جديد.

وبالغ الأسف أقول: ان كثيراً من الناس يتوبون يوماً ويذنبون في اليوم التالي.. وهكذا تراهم بين توبة وذنب، فلا يدرون كيف ستنتهي حياتهم، أو على الأقل لم يصمموا على ما ستكون نهايتهم في الدنيا، غافلين عن الحقيقة الدينية القائلة بأن مصير كل إنسان في الآخرة متعلق باللحظة الأخيرة من حياته في الدنيا، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، والعياذ بالله.

إن التوبة النصوح هي العزم على الإستمرار في التوبة حتى النهاية، وهي التوبة التي أمر الله تعالى الإنسان المؤمن بها، وهي التي من الممكن أن يمحو الله بها الذنوب والسيئات، كما صرحت به الآيات المتقدمة الذكر.

فالتوبة النصوح تمحو الماضي المقيت، وتسمح للمؤمنين في يوم القيامة بحمل صفحاتهم بيضاء دون لوث...

والتوبة النصوح نور يسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، وينقذهم من ظلمات يوم القيامة التي ستعم الجميع بإستثنائهم. ذلك النور كانوا قد ادخروه عبر أعمالهم الصالحة وعبر عزائمهم الراسخة، وبالتوجه إلى الله وحده لا شريك له، وعبر ما خاضوه من حياة طاهرة مطهرة متطورة في جادة الصلاح والإصلاح..

يوم العودة إلى الله

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة/١٩-٢٤)

إن يوم عيد الفطر، هو يوم البداية الجديدة، لضيافة ربانية جديدة، ضيافة الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وفي مثل هذا اليوم نجدد العزم على تكريس مكاسبنا من شهر رمضان الكريم.

الآن وقد أصبحنا مطهرين من الذنوب -إن شاء الله تعالى- نحس بالخفة والنشاط والحيوية، كما نحس بأننا أقرب إلى الله سبحانه مما مضى.

إذن؛ فلنفكر في كيفية ترسيخ هذه الروح الإيمانية في أعماق أنفسنا، ونبعد عنها ما تلوثنا به قبل دخول شهر رمضان علينا، ونرسّخ ما تطهرنا به خلاله.

تُرى كيف نستطيع أن نتوجّه هذا التوجّه؟ إليك بعض التوصيات في هذا المجال:

أولاً: التضامن والإتحاد مع تجمّع المؤمنين، والإبتعاد عن تجمّع السوء ومراكز الفحشاء المنكر، وإن كان ذلك يكلف الخسارة المادية في بعض الأحيان، فالله هو الرزاق الوهاب الذي يعيد عليك الفائدة من طريق آخر.

واحمل أولادك وإخوانك وأصدقاءك على المحافظة على الروح الإيجابية والإيمانية، وما من مجلس تجلسه إلا وحوّل طبيعته إلى طبيعة الإيمان والكلمة الطيبة والعلم والتطور.

ثانياً: محاولة الإستمرار على العادات الطيبة التي تركها فينا شهر رمضان الكريم، كالدعاء وتلاوة القرآن وحضور مجالس العلم والوعظ والارشاد في المساجد والحسينيات، وأداء صلاة الجمعة والجماعة.

ثالثاً: محاولة تحويل أيام السنة جميعاً إلى أيام رمضانية أو شبه رمضانية؛ بمعنى سحب روحية شهر رمضان المعنوية إلى دورة السنة برمّتها.

ثم هناك بعض التوصيات الأساسية التي تأتي في السياق نفسه، كالإحسان إلى الناس؛ الإحسان الذي قد لا يأخذ بالضرورة الصبغة المالية، بل قد يكون بمختلف أشكال الخير. فنحن بحاجة ماسة لأن نمد يد العون إلى إخواننا المستضعفين والمحرومين، وأن نبدأ ببناء المشاريع والمؤسسات الدينية والخيرية والإنسانية العامة، المؤسسات التي تنتهي بنا إلى القرب من الله تعالى.

نسأل الله سبحانه أن يبارك لنا في يوم العيد ؛ الذي هو يوم العودة إلى حقيقة الفطرة والدين، والإبتعاد عن شوائب الكفر والفواحش والذنوب، ونسأله تعالى أيضا أن يعيده علينا وعليكم ونحن في أتم الصحة والسلامة والأمن.

العودة إلى الفطرة

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى/٢٥-٢٦)

ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أَمِنَ الوعيد

خلق الله الإنسان سويا بفطرته، وخلقه في أحسن تقويم، غير أن عوامل الانحراف الذاتية والخارجية هي التي تبعده عن الصراط المستقيم. وعند ذاك يكون الإنسان بحاجة ماسة إلى التوبة والعودة إلى فطرته التي فطر عليها، وإلى نقائه واستقامته، ليبدأ حياته من جديد، فيتحول ذلك اليوم بالنسبة إليه يوم عيد وفرح.

ففي شهر رمضان ولياليه المباركات، حيث يتوب القائم بشعيرة الصيام والعبادة توبة نصوحاً، ويستجيب لنداء ربه، فإن الله يطهره ويمحو سيئاته ويدخله في حياة جديدة، فتراه في آخر شهر رمضان المبارك وأول شهر شوال قد إستعاد حيويته ونقاءه وطهره.

ان مثل يوم عيد الفطر كمثل عيد يوم الجمعة أو عيد عرفة. إذ يفرح المؤمنون يوم الجمعة بما غفر لهم ربهم بعد عودتهم لرحابه في ليلة الجمعة،

لأنهم قاموا وصلوا ورتلوا القرآن في هذه الليلة أكثر من غيرها من الليالي.
واذ يفرحون أيضا بما تاب عليهم ربهم بعد أدائهم لمناسك الحج وإعلان رغبتهم وتصميمهم على العودة إلى الله، فهم يعيشون بعد عرفة العيد والبهجة والسرور..

وإذا كان العيد يعني العودة إلى الله، فإنه يستدعي ضرورة برمجة الحياة والمستقبل، على إعتبارهما أمرين جديدين بعيدين عن الانحراف والفساد وما تم الابتعاد عنه. وفي ذلك اليوم فقط يكون جديراً بالإنسان الاحتفال بالعيد، حيث يكون قد هيأ لنفسه عوامل تكريس الطهر فيها.

طريق السعادة

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد/٢٢)

كيف نستطيع ان نجعل أيامنا كلها عيداً وبركة ورحمة وبشرى وفرح؟

قبل كل شيء لابد أن نعرف إن الحياة مثلها مثل الجدار، يعيد الكُرة كلما أُلقيت عليه وبنفس القوة والانفعال.. والذين يحيطون بنا من أهلينا أو من نعاشرهم في حياتنا، إذا ما ألقينا إليهم بالمودة والمحبة والبشر والرحمة والإحسان، أعادوا كل ذلك علينا بما يماثله، وربما ما يزيد عليه، فعند ذلك تصبح حياتنا كلها خير وبركة. وأما الذين ننبذ إليهم الأفكار السيئة والعصبيات وسوء الظن والكلمات النابية والغدر والتعدي، فإننا يجب أن نتوقع منهم رد الفعل المشابه لفعلنا.

ومن صفات الذين يبحثون عن الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؛ أنهم يصبرون على تقلبات الحياة، ولا يستخفهم العاجل منها، وهم يقيمون الصلاة؛ بمعنى انعكاس أقوالها وحركاتها على حياتهم، سواء على صعيد

النظرية أو التطبيق، وهم أيضا ينفقون في سبيل الله لفرط محبتهم للآخرين، ولاسيما المحتاجين منهم. ثم إنهم يدرؤون بالحسنة السيئة، فإذا صادفتهم سيئة من أحد الأشخاص منعوا انتشارها وتأثيرها بحسناتهم، وبذلك يملؤون حياة الآخرين بالمحبة والخير، فهم يعيشون حياة طيبة.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ حيث تستقبلهم ملائكة الرحمن على مشارف الجنة لتقول لهم: ادخلوا الجنة من أي باب تشاؤون. فهم يسلمون من كل هوان، كما سلم الآخرون منهم في الحياة الدنيا وارتاحوا إليهم.

إن المحبة والرحمة والعطاء والإيثار ودفع السيئة بالحسنة، هي العوامل التي من شأنها تحويل أيام الإنسان إلى أعياد متواصلة ومناسبات طيبة مفرحة تكون بمثابة المقدمة للحياة السعيدة في الآخرة.

الفهرس